



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي




معهد : الآداب واللغات
قسم : اللغة العربية وآدابها

الإيجاز و جماليته البلاغية في الحديث النبوي الشريف الأربعين النووية أنموذجا

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة وآدابها

إشراف الأستاذ :

* عبد العزيز بن هنية *

إعداد الطلبة : 

◀ بابا عربي عمر

◀ سبع ياسين

◀ بروك سليم

◀ لكحل رفيق

السنة الجامعية :

1435-1436 هـ / 2014 - 2015 م

الإهداء

يقولون الحياة للعظماء والكل يبحث عن العظمة في كل مكان . ولكنها كامنة في أعماقنا ولم نمتد بعد إليها مجملنا دواتنا ومتى بدأنا ندرك ما نحن وما يجب أن نكون أطلت العظمة في عيوننا . كلمة في شفاهنا وإرادة في الدنيا هكذا كان الطريق الذي أنا مره لي والذي الكرمين برعايتهما وتربيتهما وتعبهما حفظهما الله من كل سوء .

فإلى مروح أبي الغالي كل العرفان والاحترام والولاء .

وإليك أُمي الحنونة كل الحب والامتنان والتقدير .

وإلى أبنائي

مرهام وعبد الله وعبد المؤمن . . وأمه الأغر . .

إلى أقرب الناس إلى قلبي وأولادهم محبي

أشقائي : فرحي ، كاملة ، أم الخير ، مرضية ، كريمة .

إلى كل ناشد حكمة أو طالب علم

إلى أخوة الإيمان في كل مكان . . .

إلى كل من تعلمت منه ولو النثر اليسر . . .

إلى جميع أحبتي من قرب ومعلم وصاحب وجار إلى . . .

إلى سائر المسلمين في الأمراض ، عسى ألا تفوتني من بعضهم دعوة صالحة

قد يجيب الله بها عني غاشية العذاب ، أو يجزيني بها حسن التواب . . .

إليهم جميعاً اهدي هذا البحث المتواضع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي
إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْتَلِمِينَ (الأحقاف 15)

شكر و تقدير

نزولا عند قوله تعالى ﴿ و من شكر فإنما يشكر لنفسه ﴾ و قوله
﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ و قول النبي صلى الله عليه و سلم
﴿ لا يشكر الله من لا يشكر الناس ﴾ .

نحمد الله أولا و آخرا و نثني عليه الخير كله .

الحمد لله الذي علا بحوله ، و دنا بطولاه ، كما و قب

ليل و غسق ، و لاح نجم و خفق .

الذي وفقنا لإتمام بحثنا هذا ، و لولا توفيقه جلا و علا لما خرج هذا البحث إلى
النور فهو أهل للشكر و الثناء .

نتقّم بالشكر الجزيل لمن كان له الفضل بعد الله تعالى إلى من غمرنا بعلمه
و كان له الأثر البالغ في ظهور هذا البحث ... إلى أستاذنا المشرف «عبد العزيز
بن هنية» الذي لم يدخر جهداً في مساعدتنا و تقديم العون العلمي و المعنوي لنا
منذ بداية البحث و تجسّم معنا عناء البحث فكان نعم المشرف فجزاه الله عتاً و عن
الإسلام كل خير .

نقولها و الذكرى أجمل شيء نحمّله بعد الفراق

بنبضات القلب المسافر .

الأمس.....نراه اليوم و الغد بكم

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي علمنا من الحمد لله بالحمد لله ، و الصلاة و السلام على أفصح خلق الله و على آله و صحبه و من و لاه و بعد :

إن اللغة آية من آيات الله سبحانه و تعالى و معجزة من معجزاته الدالة على قدرته فقد قال تعالى في محكم تنزيله « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ٢٢ » الروم 22 .

إذ تعتبر اللغة العربية من أرقى اللغات و ذلك لثراء ألفاظها و دلالتها و فصاحتها

و أشد ما يلفت الانتباه أنها لغة إيجاز ، تعتمد على التركيز و الاقتصاد على الجوهر ، و التعبير بالكلمة الجامعة و الاكتفاء باللمحة الدالة ، فتومئ بالإشارات معبرة على معاني خصبة و هي بذلك تعني بآثراء الذوق و رقي الدلالة في البلاغة العربية .

و من خلال النظر إلى كل ما يتعلق به من ذكر أقوال العلماء في تحديد الإيجاز بتعريف معين ، و توضيح الأسباب المؤدية إلى الإيجاز مع توضيح أثر البيئة العربية في خلق الإيجاز و تفضيل العرب و العربية له ، و وقوف الإيجاز على حدود يحرص بها على بلاغته و فصاحته تجنب أن تلمس أساليبه البلاغية .

و من الأساليب البلاغية التي احتوت عليها اللغة نتبع أثر الإيجاز في العربية ابتداء من الإعجاز القرآني و الإعجاز النبوي الذي أوتي صاحبه محمد صلى الله عليه و سلم جوامع الكلم ، و كذلك الكلام العربي الذي امتاز به العرب من حكم و أمثال و عبر و شعر و خطب و بصورة أوضح الشواهد التي دلت على بلاغة

الإيجاز أنه ليس مجرد أسلوب تعبيرى أو ضد الإطناب بل يتجاوز ذلك عندما ندخل إلى جوانب لغوية أخرى كالجانب الصوتي واللغوي و البلاغي ، و للإيجاز خصائص اختص بها و أكسبته دلالة بلاغية و مكانة عالية في الأحاديث النبوية.

و من هذا المنطلق ، و نظرا لكل هذا ، فقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع الذي يتمحور حول الإيجاز و قيمته الجمالية و مدى ارتباط هذا النص بالجانب اللغوي ، فما الإيجاز في علوم اللغة ؟ و ما مكانة الإيجاز في الحديث النبوي الشريف ؟ و ما هي مكانة الإيجاز و قيمته الجمالية و الفنية ؟ و للإجابة عن هذه التساؤلات ، فقد قسمنا البحث إلى فصلين سبقناهما بمقدمة و تمهيد و خلصنا إلى خاتمة ضمناها نتائج هذا البحث .

ففي التمهيد ، تناولنا اللغة محل اهتمام الإنسان ، حيث واكبت اللغة جهوده فقد كانت محط اهتمام العلماء في شتى التخصصات ، ثم الحديث على الإيجاز و قيمته الفنية و الجمالية في الحديث النبوي الشريف و مدى رقي و فصاحة البلاغة النبوية .

- و في الفصل الأول : تناولنا الإيجاز و قيمته الجمالية تحت مبحثين

- في المبحث الأول : تناول بحثنا ماهية الإيجاز من حيث تعريفه لغة و اصطلاحا ثم أقسام الإيجاز و مكانته في البلاغة العربية .

- و في المبحث الثاني : بحثنا عن مواطن الإيجاز ثم قيمة الإيجاز الجمالية .

- و في الفصل الثاني : تناولنا الإيجاز في الحديث النبوي الشريف تحت
مبحثين

في المبحث الأول : فبحثنا في الإيجاز في الحديث النبوي الشريف و قيمته
الفنية .

و في المبحث الثاني : الإيجاز في الأربعين النووية من حيث التعريف
بالأربعين النووية (التعريف بالمؤلّف) و الإيجاز في الأربعين النووية
(التعريف بالمؤلّف) .

هذه الخطة التي اعتمدنا للبحث وافقها منهج وصفي تحليلي في أغلب
مباحثه خاصة في الفصل الأول .

و قد اعتمدنا إلى جملة من المصادر و المراجع أهمها :

- علم المعاني في البلاغة العربية لعبد العزيز عتيق
- مقاييس البلاغة لحامد صالح خلف الربيعي
- روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه و سلم لعبد الرحمان الميداني
- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي
- البلاغة العربية لعبد الرحمان الميداني
- و غيرها من المصادر و المراجع ذات الصلة بموضوع البحث .
- وقد واجهتنا صعوبات و عقبات لعل أبرزها صعوبة استحضار المراجع
للوصول للمعلومة المطلوبة و تلخصها فيما يلي :
- صعوبة الحصول على المصادر و المراجع التي يمكن أن تشير إلى
الموضوع .
- ندرة المراكز و المكتبات المهمة بالموضوع .
- الإطلاع في كل الأبواب الفقهية و شروح الحديث لتوثيق المعلومة .
- التنقل و البحث عن بعض العناوين النادرة – خاصة من المصادر – بين
المكتبات العامة و الشخصية .

وقد نختلف مع من نختلف، و قد نتفق مع من نتفق ، و ليس من الضروري أن نتفق و ليس من العيب أن نختلف .

و ككل عمل بشري ، قد يتضمن بحثنا هذا بعض النقائص و الأخطاء التي لم نتعمدها و قد يقف عليها القارئ ، فإننا نتقدم باعتذارنا على ما وقع منا من سهو .

و لا يسعنا في الأخير إلى أن نتقدم بجزيل الشكر و العرفان لكل الذين طوقوا أعناقنا بالمساعدة ، لكل الذين ساعدونا و وقفوا إلى جانبنا خاصة الأستاذ المشرف (عبد العزيز بن هنية) و توجيهاته القيمة ، ثم أولئك الذين صبروا معنا ، وعلينا ، خلال هذه المسيرة من عائلاتنا ، و زملائنا في العمل ..

هذا ، و نسأل الله سبحانه و تعالى أن يكون قصدنا إليه كاملا ، و عملنا له مخلصا .

فيا رب لك الحمد كله و لك الشكر كله و إليك يرجع الأمر كله ، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك .

* بابا عربي عمر

* سبع ياسين

* بروك سليم

* لكحل رفيق

تمهيد

لا جدال أن أفق البحث في اللغة العربية ولد بعد الإسلام و قد كان للإسلام الفضل في الرقي باللغة من لغة بداءة إلى لغة حضارة و علم . و لعل ما أعطى لهذه اللغة تلك المكانة و تلك المنزلة باقترانها بالنص القرآني .

و لما كان الإسلام دين العالمين و لما كانت اللغة هي وعاء هذا الدين فقد اهتم المسلمون بحفظها لفظا و تركيبا ، صوتا و نطقا . خاصة لما اتسعت الدولة الإسلامية و دخل أجناس بلغاتهم و لهجاتهم . فقد رأى المسلمون أن من ركائز الحفاظ على الدين و حمايته هو الحفاظ على لغته لأنها مفتاح معرفة مقاصده من خلال فهم كتابه و تتبع سننه يقول الزبيدي :

« لم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها و ماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا و أقبلوا عليه إرسالا و اجتمعت الألسنة المتفرقة و اللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية . »¹

و ما زاد هذه اللغة سموا نزول آخر الكتب السماوية على أحد من أبنائها و تخير هذه اللغة كلسان ناطق لوحي الله سبحانه و تعالى .²

و إيجاز الكلام له من الفائدة ما لا يعلمه إلا العربي ، الذي يفهم معنى الكلمة و يقدر الإشارة .

فلإيجاز شأن كبير و حظ أوفر فيما يتضمنه من أساليب و فنون بلاغية أكسبته دلالة بلاغية ، و مكانة عالية في الأحاديث النبوية .

1- أحمد مختار ، البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6 ، ص 86 .

2- الرافعي : تاريخ آداب العرب دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 1 ، ص 112 ينظر: ابن هشام : ص 80 و ما بعدها .

فإنه سبحانه و تعالى جمع في النبي المصطفى الصفات و أعطاه الخالص
منها ، و خصه بجملتها و أسلس له مأخذها ، و أخلص له أسبابها
فهو أصطنعه لوحيه ، و نصبه لبيانه و خصه بكتابه ، و اصطفاه لرسالته
و ماذا عسى أن يكون وراء ذلك في باب الإلهام و جمال الطبيعة
و وصفه الحاسة و ثقوب الذهن و اجتماع النفس و قوة الفطرة و وثاقة
الأمر كله إلى بعض¹.

* * *

¹- مصطفى صادق الرافعي : ” إعجاز القرآن و البلاغة “ دار الكتاب العربي ، بيروت ج1 ، ط9 ، (1393هـ
- 1973 م) ، ص 219

الفصل الأول

الإيجاز و قيمته

الجمالية

المبحث الأول

ماهية الإيجاز

ومكانته في البلاغة العربية

المطلب الأول : تعريف الإيجاز لغة و اصطلاحا

أ- لغة : من خلال اطلاعنا على عدة مصادر معجمية وجدنا أن مادة الإيجاز انحدرت من لفظة * وَجَزَ *

إذ يقول لسان العرب * وجز * وَجَزَ الكلامَ وَجَازَةً و وَجَزًا وَأَوْجَزَ : قل

في بلاغة ، وأجزه : اختصره ، قال ابن سيده : بين الإيجاز و الاختصار فرق منطقي ليس هذا موضعه . وكلام وَجَزٌ : خفيف .

وأمرٌ وَجَزٌ و واجزٌ ووجيزٌ و مُوجَزٌ و مُوجِرٌ .

والوَجَزُ : الوَحَى ، يُقَالُ : أَوْجَزَ فُلَانٌ يَجَازًا في كلِّ أمرٍ . وأمرٌ وَجِيزٌ

وكلامٌ وَجِيزٌ ، أي خفيف مُقْتَصِرٌ ، قال رُوَيْدَةُ : لولا عطاءٌ من كَريمِ وَجَزِ أبو عَمْرٍ و : أَلَوْجَزُ السَّريعُ لِلطَّاءِ . يُقَالُ : وَجَزَ في كلامه وَأَوْجَزَ ، قال رُوَيْدَةُ : عَلَى حَوايِي جُلَالٍ وَجَزٍ يَعْنِي بَعِيرًا سَريعًا .

وَأَوْجَزْتُ الكَلامَ : قَصَرْتُهُ . وفي حَدِيثِ جَرِيرٍ قال له عليه السلام : إذا قُلْتَ فَأَوْجِزْ ،

أَيْ سَريعًا وَاقتصر . وتَوَجَّزْتُ الشَّيْءَ : مِثْلُ تَنَجَّزْتُهُ ، وَرَجُلٌ مِيجَازٌ : يُوجِزُ

في الكلام والجواب . وَأَوْجَزَ القَوْلَ والعَطَاءَ : قَلَّاهُ ، وَهُوَ الوَجَزُ ، قال : ما وَجَزُ معروفك بالرَّماق ¹ .

¹- ابن منظور : لسان العرب ، ج 7 ، ت ، جمال الدين محمد ، دار صادر ، بيروت ، د ط ، د ت ، مادة (وجز)

ورجل وَجُرٌّ : سَرِيعُ الْحَرَكَةِ فيما أخذ فيه ، والأنثى بِالْهَاءِ . وَجَزَةٌ¹ : فرسُ
يَزِيدَ بِنُ سنان ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ . وَمُوجِرٌ : من أسماء صَفَرٍ ، قال ابنُ سَيِّدَةَ :
أُراها عاديةً¹ .

كما جاء في القاموس المحيط * الْوَجْرُ : السَّرِيعُ الْحَرَكَةِ ، وَ هِيَ : بِهَاءٍ
و السَّرِيعُ الْعَطَاءِ ، وَ الْخَفِيفُ مِنَ الْكَلَامِ وَ الْأَمْرِ ، وَ الشَّيْءُ الْمُوَجَّرُ ، كَالْوَا جِرِ
وَ الْوَجِيزِ ، وَ قَدْ وَجَّرَ² .

* * *

¹- المصدر السابق : مادة (وجر)

²- الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، باب (الزاي) ، مادة وجر .

ب – اصطلاحاً : أشاد الجاهلون كثيراً بالإيجاز و دعوا إليه و مارسوه

في أدبهم على اختلاف ألوانه . و لعل السر في اهتمامهم به راجع إلى ظروف مجتمعهم ، فقد كان مجتمعا تشيع فيه الأمية و تندر فيه الكتابة ، فكان عليهم أن يعتمدوا على ذاكرتهم من ناحية الإبقاء على أدبهم الذي يصور حياتهم ، و على تناقله عن طريق الرواية جيلا بعد جيل من ناحية أخرى .

فكانت الحاجة إلى الإيجاز في القول أول الأمر كوسيلة لإستعاب أكبر قدر ممكن من الأدب تستطيع الذاكرة أن تعيه من غير نسيان . حتى يتسنى للأجيال المتعاقبة أن تتناقله سليما غير منقوص .

و في صدر الإسلام لم يتطور مفهوم الإيجاز كثيرا عما كان عليه في العصر الجاهلي .

فظروف المجتمعين الجديد و القديم كانت لا تزال متقاربة متشابهة من جهة قلة الكاتبين و ندرة أدوات الكتابة ، لذلك ظل الإيجاز وسيلة أكثر منه غاية .

و بزيادة الاهتمام بالكتابة و تفرغ طائفة من الأدباء يفتنون في طرقها و أساليبها فكان ذلك إيذانا ببدء مرحلة جديدة في تطور مفهوم الإيجاز و النظر إليه كمطلب بلاغي في حد ذاته .

فإذا أتينا إلى العصر العباسي فإننا نرى الجاحظ في القرن الثالث الهجري يحدد مفهوم الإيجاز بقوله : « الإيجاز هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة »¹ .

ثم نراه فيما بعد يتوسع في مفهوم الإيجاز ، فلم يعد يقتصر على « جمع المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة » ، و إنما صار الإيجاز عنده بمعنى « أداء حاجة المعنى سواء أكان ذلك الأداء في ألفاظ قليلة أم كثيرة » ، فقد يطول الكلام و هو في رأيه إيجاز لأنه وقف عند منتهى البغية و لم يجاوز مقدار الحاجة² .

و عند السكاكي « هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف

الأوساط »³ .

1- عبد العزيز عتيق ، علم المعاني في البلاغة العربية – دار النهضة – بيروت . لبنان ، ص 173

2- نفس المصدر ، ص 174

3- السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، بيروت ، 1987 م ، ص 277

و عند أبي هلال العسكري يتمثل الإيجاز في ترديد رأي أصحابه القائل بأن

« الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، و ما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر و الخطل ، و هما من أعظم أدواء الكلام و فيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة »¹.

وهناك سؤال طرح قديما، وأتصور أنه لازال قائما إلى يوم الناس هذا، هو ما الإيجاز؟

لقد أجب عن هذا السؤال بإجابات عدة وفي عصور مختلفة ، وهي إجابات لا تخرج في مجملها عن القول بأنه << تقليل اللفظ وتكثير المعنى >> ، كالذي مر من قول صحار العبدي : << أن تجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تخطئ >> ، أو قول المفصل عندما سأله الأعرابي : << ما الإيجاز عندك ؟ قال : حذف الفضول وتقريب البعيد >> ، كما أن الجاحظ يذهب إلى ذلك في عدة مواطن فالإيجاز عنده << هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه >>² .

أما ابن رشيق فلم يورد للإيجاز تعريفا خاصا ، مكتفيا في ذلك بتعريف الرماني له و تقسيمه ، أما تعريفه فقد قال ابن رشيق نقلا عن الرماني : « الإيجاز هو عبارة عن العرض بأقل ما يمكن من الحروف »³ . أما ابن المقفع فيعد : « الإيجاز هو البلاغة » .

أما ابن سنان فقد جعل الإيجاز الوجه الوحيد للكلام البليغ . حيث يقول : « و من شروط الفصاحة و البلاغة الإيجاز و الاختصار و حذف فضول الكلام حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة ، و هذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة و بلاغة الكلام عند أكثر الناس ، حتى أنهم إنما يستحسنون من كتاب الله تعالى ما كان بهذه الصفة » .

¹- المصدر السابق ، ص174 ، ص 175

²- حامد صالح خلف الربيعي ، مقاييس البلاغة ، مركز بحوث اللغة العربية ، مكة المكرمة ، 1996 ، ص 229.

³- عبد العزيز عتيق ، علم المعاني في البلاغة العربية ، دار النهضة ، بيروت ، لبنان ، ص 175

و ما نلحظه من تلازم عجيب بين الإيجاز و بين مفهوم البلاغة ، فقد بلغ بهم الأمر إلى أن جعلوا البلاغة هي الإيجاز ، قال معاوية لصحار العبدى :
« ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز ، قال له معاوية : و ما الإيجاز ؟
قال صحار : « أن تجيب فلا تبطئ ، و تقول فلا تخطئ » . و قال معاوية لعمر و
بن العاص : من ابلغ الناس ؟ فقال : من اقتصر على الإيجاز ، و تنكب
الفضول » . و سئل بعض البلغاء: ما البلاغة ؟ فقال : « البلاغة إجابة اللفظ
و إثبات المعنى » و قيل لأحدهم : ما البلاغة ؟ فقال: إصابة المعنى و حسن
الإيجاز»¹ .

فهذا تراجع عن القول بمبدأ القلة حيث لم يثبت على النظر ، لأن القلة قد تكون
بسبب العجز لا بسبب البحث عن الأحسن ، هذا من ناحية و من ناحية أخرى فقد
جاء عن (الجاحظ في كتاب الحيوان) بأن >> الإيجاز ليس يعني به قلة عدد
الحروف واللفظ ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار
فقد أوجز وكذلك الإطالة ، وإنما ينبغي له إذ يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه
ولا يوحد وهو يكتفي في الإفهام بشطره فما فضل عن المقدار فهو الخطل << .

هنا يحس الجاحظ بنسبية الإيجاز ، وأنه من الأمور التي يصعب معرفة
كنها ، أو إيجاد قاعدة ضابطة مطردة يعرف بها و إقامة الدليل عليها .

وعلى الرغم من أن الجاحظ قد أغلق هذا الباب تماما . ونفى أن تكون القلة
دليل الإيجاز – ومعه الحق في ذلك – فإن اللاحقين من دارسي البلاغة الأدباء لم
يجدوا غير القلة وجها ينسب إليه الإيجاز ، فالرمانى ، والعسكري ، وابن سنان
- مثلا- كلهم يعدون الإيجاز من باب قلة اللفظ وكثرة المعنى أو ما شابه ذلك .

1- د.حامد حلف الربيعي : مقاييس البلاغة – مركز بحوث اللغة العربية – مكة المكرمة ، 1996 م ، ص 288

حتى انتهى الأمر إلى الإمام عبد القاهر فنبه إلى خطأ هذه المقولة ورد على أصحابها إذا لم يجد لها مكانا في الكلام عن المعاني ، فهو يرى >> أنه يلزمهم إن كان اللفظ فصيحاً لأمر يرجع إليه نفسه دون معناه ، أن يكون كذلك موجزاً لأمر يرجع إلى نفسه ، وذلك من المحال الذي يضحك منه ، لأنه لا معنى للإيجاز إلا أن يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى ، وإذا لم تجعله وصفاً للفظ من أجل معناه ، أبطلت معناه ، اعني أبطلت معنى الإيجاز ، فهو يرفض أن يوصف اللفظ بالإيجاز بمعزل عن المعنى ، لأنه يمزج بينهما ولا يقبل القول بتثنائية اللفظ والمعنى ، لذا فهو لا يقبل أن يكون الإيجاز وصفاً للفظ دون المعنى ، بل يبطل عنده معنى الإيجاز كلية ، ومعنى هذا أن يكون الإيجاز في اللفظ يستلزم الإيجاز في المعنى¹.

* * *

¹- المصدر السابق ص (230 - 231)

المطلب الثاني

أقسام الإيجاز ومكانته
في البلاغة العربية

المطلب الثاني : أقسام الإيجاز ومكانته في البلاغة العربية .

الإيجاز السوي ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : << إيجاز القصر >> وهو الإيجاز الذي لا يعتمد فيه على استخدام الحذف .

القسم الثاني : << إيجاز الحذف >> وهو الإيجاز الذي يكون قصر الكلام فيه بسبب استخدام حذف بعض الكلام، اكتفاء بدلالة القرائن على ما حذف.

1. إيجاز القصر :

هو الذي تكون فيه العبارات ألفاظها قليلة ، و معانيها غزيرة دون أن يكون فيها ما يدل على كلام مطوي محذوف من اللفظ ، مشار إليه بقرينة من قرائن المقال أو قرائن الحال ، أو الاقتضاء العقلي ..

لقد جاء في وصف خاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه : أنه أوتي جوامع الكلم ، ونجد في أقواله أمثلة كثيرة جدا ينطبق عليها عنوان

<< إيجاز القصر >> ألفاظها قليلة ، ومعانيها غزيرة ، دون أن يكون فيها ما يدل على كلام مطوي محذوف من اللفظ ، مشار إليه بقرنيه من قرائن المقال ، أو قرائن الحال ، أو الاقتصاد العقلي .

وفي القرآن أمثلة رائعة وكثيرة جدا ، يرى فيها متدبرو كتاب الله المجيد قصرا في ألفاظها ، وثروة واسعة في معانيها ودلالاتها ، مع أنها لا تطوي في مثانيها محاذيف ، بل جاءت ثروة المعاني من منطوق الألفاظ المختارة بعناية فائقة¹ .

أمثلة على << إيجاز القصر >>

المثال الأول :

قول الله عز وجل في سورة (الزلزلة)

¹ - عبد الرحمن حبنكة الميداني : البلاغة العربية ، الجزء الثاني ، دار العلم دمشق ، دار الشامية ، بيروت ، ص (29 ، 30 ، 33) .

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ٨ " 1

وصف الرسول ﷺ هذا القول بأنه فادٌ جامع ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ تحدث عن اقتناء الخيل فقسمها ثلاثة أقسام ، وشرحها ، وبعد ذلك سئل عن الحمر فقال :

" ما أنزل علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجاعة : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ) .

جعل الآيتين لترابطهما بمثابة الآية الواحدة ، ووصفها بأنها فاذة ، وبأنها جامعة .

● أما كونها فاذة فمعناه أنها منفردة فيما دلت عليه من معنى ، لم يأت في القرآن نظيرها بهذا الإيجاز الجامع .

● وأما كونها جامعة فمعناه أنها شاملة عامة تتناول كل عمل صغيرا كان أو كبيرا خيرا كان أو شرا ، فهي من جوامع الكلم . أن هذا البيان القرآني على قصره وقلة كلماته يدل على معان يمكن أن تفضل وتسرح بسفر ، لما جاء فيها من اختيار الألفاظ ذوات الدلالات العامات الشاملات .

❖ كلمة "مَنْ" من ألفاظ العموم ، فهي تعطي دلالة كلية عامة تشمل كل مكلف ، وهي اسم شرط جازم .

❖ وفعل الشرط "يَعْمَلُ" يشمل كل عمل إرادي من الأعمال الظاهرة و الباطنة .

❖ وعبارة " مِثْقَالَ ذَرَّةٍ " عبارة ذات شمول يبدأ من أصغر الأعمال وأقلها عددا ، وينطلق دون حدود عظاما وعددا كثيرا .

❖ وكل من كَلِمَتِي : " خَيْرًا " و " شَرًّا " تمييز على تقدير "

من " وهو منكر ، فهو يفيد العموم الذي يشمل كل خير وكل شرّ ظاهر أو باطن .

¹ سورة الزلزلة : الآية 7-8

❖ وكلمة : " يره " التي هي جواب الشرط تدل على حتمية رؤية عمله الذي كان عمله في الدنيا ، إذ يراه في كتاب أعماله مسجلا بالصورة والصوت والخواطر والنيات . هذا من أبداع وأعجب " إيجاز القصر " وطريقة اختيار الألفاظ و التعبيرات ذوات الدلالات العامّات الشّمالات¹ .

المثال الثاني :

قول الله عز وجل لرسوله في سورة (الحجر)

(فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ٩٥)² .
إنّ جملة (فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) موجزة العبارة ، لكنها تدلّ على معان كثيرة ، وقد ذكرها << ابن أبي الإصبع >> من أمثلة << الإيجاز >> ونبّه على ما في عبارة (فَأَصْدَعْ) من دقائق ، فقال :

المعنى : صرّح بجميع ما أوجي إليك ، وبلغ كل ما أمرت ببيانه ، وإن شقّ بعض ذلك على بعض القلوب فأصدعت³ .

وأشار إلى أنّ استعمال (فَأَصْدَعْ) هنا هو استعمال على سبيل الاستعارة ومعلوم أنّ الاستعارة عمادها التشبيه ، فشبه تأثير التصريح في القلوب الكارهة للبيانات الدنيّة ، بالضرب على الزجاج الذي يصدع دون أن يتكسر و يتفرّق فتابع قائلاً :

¹- المصدر السابق : ص 34

²- الحجر : الآية (94 - 95)

³- نفس المصدر : ص 37

" والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصريح في القلوب ، فيَظْهَرُ أثرُ ذلك على ظاهر الوجوه من القبض و الانبساط ، وما يلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار ، كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة .

فانظر إلى جليل هذه الاستعارة ، وعِظْم إيجازها ، وما انطوت عليه من المعاني الكثرة " .

وحُكِيَّيَ أَنَّ بعض الأعراب لَمَّا سمع هذه الآية سجد ، وقال : سجدت لفصاحة هذا الكلام . أقول : إنَّ إيجاز هذه الجملة القرآنية : << إيجازُ قِصْرٍ >> وطريقة التشبيه الذي جاء بأسلوب الاستعارة << إيجازُ حَذْفٍ >> إذ في العبارة حذف المفعول به لفعل << تُوْمَرُ >> والتقدير : فأصدغِ بِمَا تُوْمَرُ أَنْ تُبَلِّغَهُ للناس .¹

المثال الثالث :

قول الله عز وجل في سورة (الأعراف) خطاباً لرسوله فكل داع إلى سبيل ربه: (خُذِ الْعَهْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَالِينَ ١٩٩) .²

في هذه الآية إيجاز عجيب ، إذ تتألف من كلمات معدودات ، إلا أنها تدل على معان كثيرة .

وطريق الإيجاز فيها استخدام التعبيرات الكلية ذوات الدلالات العامّة الشّمالات والاستغناء بما تعطيه اللوازم الفكرية .

2. إيجاز الحذف :

سبق بيان أنّ " إيجاز الحذف " هو الإيجاز الذي يكونُ قِصْرُ الكلام فيه بسبب استخدام حذف بعضه ، اكتفاءً بدلالة القرائن على ما حُذِفَ .

إن من طبيعة البلغاء والمتحدثين الأذكياء << أن يحذفوا من كلامهم ما يَرَوْنَ الْمُؤَقِّيَ له قادراً على إدراكه بيسر وسهولة ، أو بشيء من التفكير والتأمل إذا كان أهلاً لذلك .³

¹ - المصدر السابق ص 37

² - الأعراف : الآية 199

³ - نفس المصدر : ص (38- 39)

والسبب في هذا أنّ الإسراف في الكلام لا يليق برزانة ورياسة أهل العقل والفكر الحصيف ، بل هو من صفات الثرثارين وأهل الطيش والخفة ، وهو في الغالب من طبائع النساء¹ .

و للإيجاز بالحذف فوائد و شروط و أقسام هي :

أ- فوائد الإيجاز بالحذف :

الفائدة الأولى : الاختصار اقتصاداً في التعبير ، واحتراراً عن البعث ، عند تحقق المطلوب بظهور المعنى المراد لدى المتلقي . ككّون المذكور لا يصلح إلا للمحذوف ، ومنه حذف المبتدأ إذا كان الخبر من الصفات التي لا تصلح إلا لله عزّ وجلّ ، وككّون المحذوف مشهوراً حتى يكون ذكره وحذفه سواء .

الفائدة الثانية : التنبيه على أن الوقت مع الحدث لا يتسع للتصريح بالمحذوف من اللفظ ، أو أنّ الاشتغال بالتصريح به يُفضي إلى تفويت أمر مهمّ .

وتظهر هذه الفائدة كثيراً في باب << التحذير و الإغراء >> ومنه ما في قول الله عزّ وجلّ في سورة (الشمس) المشتمل على قول صالح عليه السلام لقوله : **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۙ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۚ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ** (١٣)² .

فحذّرهم أن يمسّوا ناقة الله ، فحذف فعل التحذير فقال : " ناقة الله " و التقدير : ذرّوا ناقة الله .

وأغراهم بأن يحافظوا على شروط سقياها ، فحذف فعل الإغراء فقال : " وسقياها " والتقدير : ألزموا سقياها ، أو ألزموا شروط سقياها .

¹- المصدر السابق : ص (40-41)

²- الشمس : الآية (11-12-13) .

الفائدة الثالثة : التفخيم والتعظيم ، أو التهويل ونحو ذلك ، بسبب ما يُحْدِثُه الحذف في نفس الملتقي من الإبهام الذي قد يجعل نفسه تقدر ما شاءت دون حدود ، وَيَحْسُدُنُ مثل هذا الحذف في المواضع التي يُراد بها التعجيب و التهويل وأن تذهب النفس في تقدير المحذوف كل مذهب .

كحذف جواب الشرط في قول الله عز وجل في سورة (الزمر)

(وَسِيقَ الَّذِينَ هَارَوْا الْجِنَّةَ إِلَى جَنَّةٍ مُمَرَّةٍ لِيُكْفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ إِذْ جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَانْخَلُوهَا خَالِدِينَ)¹.

والتقدير : [رَأَوْا شيئاً عظيماً جداً تعجز عباراتهم عن وصفه .

وكحذف جواب الشرط أيضاً في قول الله عز وجل في سورة (الأنعام) :

وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا لَا بَإِيتَانَا نُرْدُ وَلَا نَكُذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) .²

أي : ولو ترى إذ وقفوا على النار [رأيت ما هم فيه من الرعب والكرب والحسرة والتدم شيئاً لا تستطيع وصفه بالعبرة .

¹- الزمر : الآية 73 .

²- الأنعام : الآية 27 .

الفائدة الرابعة : التخفيف على النطق لكثرة دَوْرانه في الكلام على الألسنة وتظهر الفائدة في حذف أداة النداء ، وحذف النون من فعل "يَكُنْ" المجزوم وحذف ياء المتكلم ، وحذف مثل ياء "يَسْرِي" كقوله تعالى : (والليل إِذَا يَسْرُ) وحذف آخر المرخَّم في النداء . ونحو ذلك .

الفائدة الخامسة : صيانة المحذوف عن الذكر تشريعاً له .

الفائدة السادسة : صيانة اللسان عن ذكره فيحذف تحقيراً له وامتثالاً .

الفائدة السابعة : إرادة العموم ، مثل قولنا في الفاتحة خطاباً لربنا :

(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أَي فِي أُمُورِ دُنْيَانَا وَ أُمُورِ آخِرَتِنَا .

الفائدة الثامنة : مراعاة التأظُّر في الفاصلة ، مثل قوله تعالى في سورة

(الضُّحَى) :

(وَالضُّحَىٰ ۝١ وَأَدَّبَلَ إِذَآ سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣) 1

أَي : وَمَا قَلَاكَ .

الفائدة التاسعة : إرادة تحريك النفس وشغلها بالإبهام الذي يتبعه البيان حتى يكون البيان أوقع وأثبت في النفس .

مثل قوله تعالى في سورة (النحل) .

(..... وَلَوْ شَاءَ لَهَدَلَكُمْ أَجْمَعِينَ ٩) . 2

1- الضحى : الآية (1-3)

2- النحل : الآية 9

أي : ولو شاء هَدَيْتَكُم لسلبكُم الاختيار ولجعلكم مجبورين ، وإذن لهداكم أجمعين .

قالوا : إنَّ مفعول المشيئة والإرادة بعد الشرط لا يذكر غالبًا إذا كان غريبًا أو عظيمًا .

ب. شروط الحذف :

ذكرنا شروطًا سبعة لجواز الحذف ، منها ما هو بلاغي ، ومنها ما يدور في فلكِ الصنعة النحوية ، ولكن لم يتضح لنا منها بلاغيًا غير شرطين .

الشرط الأول : أن لا يُؤدِّي الحذف إلى الجهل بالمقصود ، فَيُشْرَطُ أن يُوجَدَ دليلٌ يدلُّ على المحذوف ، وقد يُبرَّرُ عنه بالقرائن الدالة .

الشرط الثاني : أن لا يكون المحذوف مُؤكِّدًا للمتكِّور ، إذ الحذف ، منافٍ للتأكيد . والدليل الدالُّ على المحذوف :

- 1) إمّا أن يكون من قرائن المقال الموجودة في السياق .
- 2) وإمّا أن يكون من قرائن الحال .
- 3) وإمّا أن يكون من المفاهيم الفكرية والإقتضاءات العقلية ، واللوازم الذهنية .

أمثلة :

المثال الأول : قول الله عزّ وجلّ في سورة (الذاريات) :

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ٢٤ إِدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبُيُوتَ سَلَامًا قَالِ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٥) .¹

هؤلاء الضيوف كانوا الملائكة الذين بشروه بسلامه بسلامه من زوجته " سارة " وأخبروه بأنهم ذاهبون لأهلك قَوْم لوط .

وقد جرى في تحيتهم له حذف ، وفي ردِّ إبراهيم عليهم حذف أيضًا ودلَّ على المحذوف قرينة الحال ، وتقدير الكلام إذا رددنا المحذوفات كمايلي :

قالوا : نُسَلِّمُ عَلَيْكَ سَلَامًا .

قال : سَلامٌ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُكْرُونَ .

وداعي الحذف هنا الإيجاز والتخفيف لكثرة دوران مثل هذا الاستعمال على الألسنة .

المثال الثاني : قول الله عز وجل في سورة (فاطر) :

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا)¹ .

في هذه العبارة محاذيف يدلُّ عليها النظر الفكري و التأمل ، إذ المعنى :

من كان يريد العزة فليؤمن بالله ، وليطلبها منه ، وليسلك سبيل الوصول إليها عن طريق مرضاته ، فليله العزة جميعًا .

إنَّ جواب الشرط " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ " الذي جاء بصيغة " فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " يستلزم عقلاً التوجيه لطلبها عند من يملكها ، ولما كانت العزة كلها لله عز وجل فعلى مَنْ يُرِيدُهَا أَنْ يَطْلُبُهَا مِنْهُ ، وطلبها إنما يكون بالإيمان به ، والإسلام له ، وسلوك السبيل التي ارتضاها لعباده ، والعمل بمراضيه ، وسؤاله النصر والتأييد ، والاستعانة به ، وذكره كثيرًا .

فالدليل الدالُّ على المحذوف هنا فكريُّ عقلي .

* * *

¹ - فاطر: الآية 10

ج. أقسام الحذف : ينقسم الحذف إلى خمسة أقسام :
الاقتطاع و الاكتفاء والتضمين والإحتباك و الاختزال .
و فيما يلي الشرح مع الأمثلة :

1. الاقتطاع : هو حذف بعض حروف الكلمة ، وما هو بمثابة الكلمة
الواحدة وذلك لأغراض هي :

- تخفيفًا على مخارج الحروف أو لداعي السرعة ،
- أو لأجل القافية في الشعر ، أو الفاصلة في النثر ،
- أو التحبيب في النداء ، أو نحو ذلك من دواعي بلاغية
- أو لداعي السرعة

. فمنه حذف نون فعل " يكون " المجزوم ، كما جاء في قول الله عز وجل
في سورة (القيامة) :

(يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۚ ۝٣٦ لَمْ يَكْ نُظْفَةً مِّن مَّنِي يُمْنَىٰ ۝٣٧) .¹

الأصل : " أَلَمْ يَكُنْ " فَحُذِفَتِ التُّونُ تَخْفِيفًا ، وَرَبَّمَا لِأَغْرَاضٍ أُخْرَى تَتَّصِلُ
بِأَعْدَادِ الْحُرُوفِ ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ .

* * *

¹ - القيامة : الآية (36-37) .

. ومنه حذف إحدى التاءين المتواليين في الفعل الوارد على وزن " تَنَفَعَل " كما جاء في قوله تعالى في سورة (الأنعام) :

لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ تَتَكَبَّرُونَ (١٥٢) .¹

تَذَكَّرُونَ : أصلها تَذَكَّرُونَ ، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً .

. ومنه حذف التاءين من استطاع على غير قياس ، كما جاء في قوله تعالى في سورة (الكهف) حكاية لما قال الخضر لموسى عليهما السلام :

ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)²

بعد أن قال له قبل هذا : (بِأُتِيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٧٨)

ولعلّه أشار أخيراً بفعل " نَسَطَع " إلى طبيعة موسى عليه السلام التي تقل فيها استطاعة الصبر ، فناسبها تقليل حروف الكلمة .

. ومنه الترخيم في النداء ، كما جاء في قول امرئ القيس :

أَفَاطِمُ مَهْلَابَ عَضَ هَذَا التَّدَلُّ وَنُ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمَلِي

أي : أَفَاطِمَةَ .

. ومنه حذف آخر الكلمة لمراعاة التناسب في الفواصل ، كما جاء في قوله عز وجل في سورة (الفجر) :

(وَأَلْفَجْر ١ وَلَيَالٍ عَشْر ٢ وَالسَّعْعِ وَاللُّوْثِ ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤) .³

يَسْر : أصلها يَسْرِي ، فحذف آخر حرف فيها لمراعاة الفاصلة .

¹ - الأنعام : الآية 152 .

² - الكهف : الآية 82 .

³ - الفجر : الآية (1- 4) .

وكذلك قوله تعالى فيها :

﴿ثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ الَّذِينَ طَعَوْا فِي آلِيَدِ (١١)﴾¹ .

بالوَادِ : أصلها بالوادي فحذفت الياء لمراعاة الفاصلة .

. ومنه حذف ياء المتكلم ، كما جاء في قول الله عز وجل في سورة (القمر):

﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (٣٠)﴾² .

ونُذْرٍ : أي : و نُذْرِي فحذفت ياء المتكلم لمراعاة التناظر في الفواصل .

إلى غير ذلك .

2. الاكتفاء : وهو أن يقتضي المقام ذكرَ شَيْئَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلَازُماً وارتباط ، فَيُكْتَفَى بأحدهما عن الآخر لنكتة بلاغية . ويختص غالباً بالارتباط العطفي .

مثال : قول الله عز وجل في سورة (الأنعام) :

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣)﴾³ .

أي : وله ما سَكَنَ وَمَا تَحَرَّكَ في اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، لأنَّ كلَّ ساكن في الوجود

هُوَ ذُو حَرَكَةٍ ما ، فالأمران مُتَلَازمان فحصل الاكتفاء بأحدهما عن الآخر .

1- الفجر: الآية (9 ، 10)

2- القمر : الآية 30

3- الأنعام : الآية 13

مثال : قول الله و جل في سورة (النحل) :

(وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْجِبَالِ اُكُنَّةً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيْكُمْ
الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيْكُمْ بَلُوكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَنَا عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ (٨١)¹.

ففي قوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيْكُمْ الْحَرَّ) إيجازٌ بالحذف ، على سبيل
الاكتفاء ، إذ التقدير: تقيكم الحرّ والبرد .

قالوا: و حُصَّ الحرُّ بالذكر لأنّ المخاطبين الأوّلين كانوا عربًا ، وبلاذُهُم حارّة
والوقاية من الحرّ هي الأهم لدى معظمهم .

إنّ من أساليب القرآن تجزئة العناصر الفكرية على النصوص ، و قد جاء فيه
الامتنان بالدفء في قوله في سورة (النحل) أيضًا :

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيْهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِمَّا تَكْلُوْنَ (٥)².

فتكامل النصان في الدلالة على الوقاية من الحرّ و البرد .

* * *

¹- النحل : الآية 81

²- النحل : الآية 5

3. التضمين : هو تضمين كلمة معنى كلمة أُخرى ، وجَعَلَ الكلام بعدها مَبْنِيًّا على الكلمة غير المذكورة ، كالتعدية بالحرف المناسب لمعناها ، فتكون الجملة بهذا التضمين بقوة جملتين ، دلّ على لإحداهما الكلمة المذكورة التي حُذِفَ ما يَتَعَلَّقُ بها ، ويُقدَّرُ معناه ذهنًا ، ودلّ على الأخرى الكلمة التي جاءت بعدها المتعلقة بالكلمة المحذوفة الملاحظ معناها ذهنًا¹.

والتضمين فنٌ رفيعٌ من فنون الإيجاز في البيان ، وهو لا يخضع لقواعد الاستعمالات العربية الجامدة التقليدية ، التي قد يتقيّد بها النحاة ، بل هو لَمَحُّ ابتكاريٌّ يلاحظه البليغُ إذ يرى فعليْن مُتقارِبَيْن ، أو نحوهما ، وهو يريد استعمال كلّ منهما في كلامه ، و هو أن يختار أحد الفعلين بفتية ، فيتكره بلفظه ، ثم يأتي بما يتعدى إليه الفعل الآخر ، أو يعملُ فيه ، فيتكره ، ويحذف معمول الفعل الذي ذكره ، إذا كان له معمول ، سواء أكان مفعولاً به ، أم غير ذلك ، ويستغني بذكر جملة واحدة عن جملتين .

ولدى تحليل التضمين يظهر لنا أنه صنف من أصناف الحذف الذي يترك في اللفظ ما يدل عليه .

فالفعل المذكور يدلّ بحسب تعيّنهِ العربية على معموله المحذوف ، والمعمول المذكور مع قرائن النصّ يدلُّ على عامله المحذوف ، ويُنشَجُ عن ذلك أداءٌ موجزٌ بليغ ، اعتمد على أسلوبٍ بيانيّ ذكيّ .

ولابد أن نُدرِك أن مثل هذا الأداء البياني لا يستقيم بين كل فعلين أو ما يعمل عملهما ، حتى يُطبق بغياء ، سواء استقام الأداء البيانيّ أم لم يستقم ، بل يحتاج من البليغ رؤيةً فنيةً بيانيةً ، يصلُّ بها إلى أنّه لو استخدم هذا الأسلوب في جملته لأدرکه البُغَاءُ و الأدكياء ، دون إعنات نهنيّ ، ويُدركه الآخرون بالتدبُّر و التأمل

فمثلا : أريد أن أقول : جَسْتُ على فراشي ، وأمَلْتُ جسْمِي إلى مُتَكِّي ، فأختصرُ الكلام فأقولُ : جَسْتُ إلى مُتَكِّي .

ومثل هذا الإيجاز القائم على الحذف و الإيصال ، أسلوبٌ يَنْهَجُه بُلغَاءُ العَرَبِ وتقدير الكلام : جَسْتُ مَلَأَلِي مُتَكِّي .

1- محمد بن المهدي الحسيني الشرازي ، كتاب البلاغة ، طبعة 1997 . دار أهل البيت . نجف . دط

مثال : قول الله عزّ وجلّ في سورة (النازعات) :

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِأَلْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ أَتَّهَبُ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝٧ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ ۝٨ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَحْشَىٰ ۝١٩
١)

هل لك إلی أن تزكّی ؟ عبارة : " هل لك " استفهامٌ وخبرٌ مقدّمٌ والمبتدأ
محذوفٌ تقديره : " هل لك رغبةٌ " تُدّی بحرفٍ " في " لا بحرفٍ " إلی " لكن
ضمّنت معنى فعل " أدعو " فعديت تعديته، والتقدير: هل لك رغبة في أن
أدعوك إلی أن تزكّی ؟

4. الإحتباك :

الإحتباك : هو أن يُحذف من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر .
ويُحذف من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل .

ومأخذ هذه التسمية من الحَبَك ، وهو الشدّ والإحكام ، وتحسين أثر الصنعة في
الثوب ، فحَبَكُ الثوب هو سدُّ ما بين خيوطه من الفرج وشدُّه وإحكامه إحكامًا
يمنع عنه الخَلّ ، مع الحُسْن والرونق .²

وبيان أخذ هذه التسمية من حَبَكِ الثوب أنّ مواضع الحذف من الكلام شبيّهت
بالفرج بين الخيوط ، فلمّا أدركها المتدبّر البصير بصياغة الكلام ، الماهر بإحكام
روابطه ، وأدرك مقابلاتها ، تنبّه إلی ملء الفرج بأمثال مقابلاتها ، كما يفعل
الحائل حينما يُجري حبكًا مُحكمًا في الثوب الذي ينسجه .

يقال لغة : جَكَ الثوبَ ، وحَبَّگه ، واحْتَبَّگه إذا أجاد نسجه وأتقنه ،
وجَكَ الحَبْلَ ، إذا شدَّ قنله ، وجَكَ الثوبَ ، إذا ثنى طرفه وخاطه .

¹ - النازعات : الآية (15-19) .

² - محمد بن المهدي الحسنی الشيرازي - كتاب البلاغة . طبعة 1997 . دار الشامية ، بيروت .

² - الميداني - البلاغة العربية - ص (54 - 55)

مثال : قول الله عز وجل في سورة (النمل)

حكاية لما خاطب به موسى عليه السلام عند تكليمه :

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ..... (١٢)¹ .

التقدير : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) تدخل غير بيضاء . وأخرجها (تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) .

فدلّ لفظ "بَيْضَاءَ" في الأواخر على عبارة " غير بيضاء " المحذوفة من الأوائل ودلّت عبارة " وَأَدْخِلْ" في الأوائل فلى عبارة " و أخرجها " المحذوفة من الأواخر فتمّ الإحتباك .

5. الاختزال : هو كلُّ حذف في الكلام لا يدخل في واحدة من الأقسام الأربعة السابقة " الاقتطاع ، الاكتفاء ، التضمين ، الإحتباك " .

وقد تتبّع البلاغيون و النحويّون و المفسّرون هذا الحذف المسمّى بالاختزال فوجدوا أنّه يشملُ حذف الاسم، و الفعل ، والحرف ، وحذف جملةٍ ، أو عدّةِ جمل ، وحذف كلام طويل في قصّة ذات أحداث كثيرة .

وتتبعوا الأمثلة بالتفصيل فوجدوا أمثلةً من كلّ مايلي :

- 1) حذف المضاف ، وهو كثير جدا في القرآن ، حتى عدّ " ابن جنّي " منه رُهاء ألف موضع .
- 2) حذف المضاف إليه .
- 3) حذف المبتدأ .
- 4) حذف الخبر .
- 5) حذف الموصوف .

¹ النمل : الآية 12 .

- (6) حذف الصفة .
- (7) حذف المعطوف عليه .
- (8) حذف المعطوف مع العاطف .
- (9) حذف المبدل منه .
- (10) حذف الفاعل .
- (11) حذف المفعول به .
- (12) حذف الحال .
- (13) حذف المنادى .
- (14) حذف العائد .
- (15) حذف الموصول .
- (16) حذف الفعل .
- (17) حذف الحرف .
- (18) حذف أكثر من كلمة ، وقد تَبْلُغ جملاً كثيرة ، وأحداثاً طويلةً من قصة .¹

يقول الشيخ عبد الرحمن الميداني : " إنّ المهمّ في الدراسة البلاغية لظاهرة "الحذف" اكتشاف الداعي البلاغي له في الكلام ، والتنبيه عليه .²

* * *

¹ - محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي - كتاب البلاغة ، طبعة 1997 - دار أهل البيت - النجف . دط .
² - الميداني - البلاغة العربية - دار القلم دمشق - الدار الشامية بيروت - ص 57-58 .

أمثلة :

1) قول الله عز وجل في سورة (المائدة) :

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحُمُّ الْخَنزِيرُ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُتَخَنِّقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ
وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ٣)

1

أي : حُرِّمَ عليكم أكل هذه المذكورات ، وهذا من حذف الاسم المضاف .

2) وقوله عز وجل في سورة (الروم) شأن الروم إذ غلبوا من قبل الفرس

وبيان أنهم سيغلبون : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ٤)² .

أي : لله الأمر من قبل الغلب ومن بعد الغلب ، وهذا من حذف المضاف إليه

3) وقول الله عز وجل في سورة (الكهف) في حكاية بيان الخضر لموسى

عليهما السلام أسباب أعماله التي استنكرها :

(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَلَكَ يَعْْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ
يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩)³ .

أي : يأخذ كل سفينة غير معيبة غصبًا ، بدليل قوله : فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا .
وهذا من حذف الصفة .

1- المائدة : الآية 03 .

2 - الروم : الآية 04 .

3 - الكهف : الآية 79

المبحث الثاني

مواطن الإجاز
وقيمته الجمالية

المطلب الأول

مواطنن الإيجاز

المطلب الأول : مواطن الإيجاز

إنّ موطن الحسن و مكان الفضيلة في الإيجاز «هو الغموض الذي يطلق للنفس العنان فتذهب في الحدس كل مذهب ، و ترتاد آفاق المعاني التي يحتملها التعبير، و لو قيد المعنى بلفظ لقصر عن وجهه ، و لم يؤدّي الغرض تمام الأداء « فجمال الإيجاز يرجع بالدرجة الأولى إلى سبب نفسي ، لأنه يدعو أن يشارك السامع المتكلم في تكملة الكلام ، و بيان المراد ، و الإشارة إلى الشيء من بعيد تستدعي عمل الفكر .

و هذا ما يتفق عليه الأدباء من رجال البلاغة ، و هو جدير بالاتفاق و الإجماع و الإشادة ، لأنه من أهم الأبعاد البلاغية التي يكون المخاطب عنصرا من عناصرها ، إذا تحقق الكلام تحقق له عنصر الإثارة و التأثير و القابلية لدى المخاطب ، فمقياس الإيجاز مبدأ عظيم من مبادئ فن البلاغة ، لما يشير إليه من الكيفيات التي تتحقق بها الزيادة الكمية في المعنى، و قيمة ذلك في الأسلوب الأدبي الذي يعتمد كثيرا على الإيجاز¹ .

* * *

¹ - نفس المصدر : ص 244

المطلب الثاني

قيمة الإيجاز الجمالية

المطلب الثاني : قيمة الإيجاز الجمالية

من يقرأ تراث العرب البلاغي يلاحظ الاحتفاء بالإيجاز ظاهراً عند البلغاء و البلاغيين على حد سواء فالجميع يفضلون الإيجاز ، والبليغ عندهم من أصاب الغاية بقليل من اللفظ . كما عرفوا المساواة التي هي منزلة بين الإيجاز والإطناب ، و لكن مع هذا بقي الإيجاز هو الأصل و المبدأ المقدم الذي لا يخالفه الكلام إلا لسبب عارض، لذا كان الإيجاز مقياساً من مقاييس البلاغة عندهم .

إن البلاغة فن ، و الإيجاز مظهر من مظاهر جمال ذلك الفن ، وقد أدرك العرب القيمة الفنية الجمالية للإيجاز فحرصوا عليه ، وعرف البلاغيون فضله فوجهوا إليه ، ليس لأنه يتناسب مع السرعة ، ولا لأنه أيسر في الحفظ ، ولكن لأن الإيجاز أقرب إلى مجال الصنعة الفنية والحذف من الإطناب ، إن الإيجاز يحتاج إلى تأمل و تفكر ليظهر عليه أثر الصنعة البلاغية التي يكون بها موطن حسن وجمال في الكلام .¹

ولعل مما يؤيد ذلك ما عقب به أبو عبيدة على قوله تعالى : (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا)² (١٩١) .

قال : " العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنه في تمام القول : ويقولون : ربنا ما خلقت هذا باطلاً " .³

فالعرب من عاداتهم بلاغياً حذف المعلوم ، لأن في حذفه إثارة ولفتة للمخاطب ليشارك بما يعلم في إتمام الكلام ، وهذه المزية يفتقدها الكلام لو ذكر المحذوف . لأن في ذكره تنحية للمخاطب عن المشاركة الذهنية و الحرص على المتابعة .

ومجيء الكلام على هذا النحو يحتاج من الأديب إلى رعاية وإلى جهد تتحقق به فنية الإيجاز ، لأنه يقوم على التكتيف ، أي تكثيف المعاني في قليل من اللفظ . وهذا من سمات الأدب الجيد ، وبخاصة الشعر .

¹ - حامد صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة . سلسلة بحوث اللغة. مكة المكرمة 1416هـ. 1996م. ص (225 - 235)

² - آل عمران : الآية 191

³ - نفس المصدر: ص 235 .

ومما يؤكد أنّ الإيجاز يحتاج إلى البراعة في الصنعة الفنيّة ما جاء في البيان والتبيين للجاحظ أنّه جعل القلّة في اللّفظ على وجهين، " أحدهما من جهة التحصيل

و الإشفاق من التكلّف وعلى البعد عن الصنعة ، ومن شدّة المحاسبة وحصر النفس " 1 .

فمن القلّة المخلّة بالبلاغة ما جاء من الكلام موجراً ، ولكن إيجازه لم يصدر عن صنعة ، ولا عن محاسبة للنفس ، لأنّ الإيجاز في فنّ البلاغة يستلزم قدرا من التحصيل والتعب ، وأن يظهر عليه رونق الصنعة الفنيّة ، وهذا لا يعني تفضيل الإيجاز مطلقا ولكن يعني أنّ الإيجاز هو الأصل ، ولا يعدل عنه إلا حين يقتضي الحال ذلك العدول .

فنرى أنّ العرب إنّما مالوا إلى الإيجاز واحتفوا به لما له من منزلة في فنّ البلاغة أدركوها بذوقهم ، وانفقوا عليها في عرفهم الفنيّ ، فأخذوا يتبارون ويتسابقون في إظهار براعتهم فيها ، لذا كثر الموجز من قولهم ، كما كثر الإيجاز في القرآن الكريم تمشيّا مع ذلك ليكون التحدي أظهر عندهم ، فجاء البلاغيون ولاحظوا تلك الكثرة وتلك العناية بالإيجاز فاحتفوا به على أنه مما يفضله العرب القدماء ، وعلى أنّه مظهر من مظاهر بلاغتهم .

فالالاتجاه الغالب عند العرب حتى القرن الثاني الهجري (تقريبا) هو الإيجاز².

¹- المصدر السابق ، ص 236

²- نفس المصدر ، ص 236

و لقد لقي مقياس الإيجاز تطورا كبيرا على يد الإمام عبد القاهر ، بدءًا بإبراز وجه الكثرة في المعنى و انتماءً بالكشف عن الأساليب البلاغية التي تقع بها في الكلام . فقد استبعد الإمام فكرة قلّة الألفاظ و كثرة المعنى على النحو الذي تقدم و نسب الإيجاز إلى طريقة الأداء التي يكون فيها المعنى الأول للفظ دالاً على معنى أو معانٍ إضافية .

فالإيجاز لا يتنوّع بخلاف غيره من البلاغيين ، بل هو ضرب واحد مهما تعدّدت طرقه وأساليبه ، وهذا يعني أن طرق النّظم واستخدامها جماليًا يقوم أكثرها إن لم تكن كلها على الإيجاز ، لأنّ جمال أساليب البلاغة مرهون بما تتميز به من الإفادة ، وما تؤدّيه من معانٍ إضافية ، فهي أساليب يتوصّل بها الأديب إلى إضافة معنى أو معاني زائدة على المعنى الذي تؤديه الجملة إذا جاءت وفق القواعد النحوية التي تحدّد لكلّ جزء من أجزاء الجملة مكانه وصفته .

فالتّقديم في موضع التّأخير ، والعكس ، والتعريف في موضع التّكثير ، والعكس والإضمار في موضع الإظهار ، والعكس ، و استعمال أداة في موضع أداة أو حرف مكان حرف وما إلى ذلك من وجوه النظم¹.

وكذلك كثير من فنون البديع . كل ذلك لا يقع إلا لفائدة إضافية . ومعنى زائد تتحقّق به ميزة الإيجاز للكلام .

و يذهب الرماني إلى جعل الإيجاز ميزة إذا توافرت في الكلام سعدت به إلى أعلى درجات البلاغة ، يقول : " إذ عرفت الإيجاز و مراتبه ، و تأملت ما جاء في القرآن منه ، عرفت فضيلته على سائر الكلام ، و علّوه على غيره من أنواع البيان " ².

¹- المصدر السابق : ص (238 – 239)

²- نفس المصدر : ص 243

الفصل الثاني

الجانب التطبيقي

الإيجاز في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول

الإيجاز في الحديث النبوي
الشريف و قيمته

المطلب الأول : الإيجاز في الحديث النبوي الشريف وقيّمته

بالإضافة إلى تأثيره بالقرآن الكريم الذي تخلّق به قولاً وعملاً نجد أنّه ﷺ يؤثّر على غيره من ضروب الأداء في الكلام تأسياً بالقرآن الكريم أيضاً ، يشهد على هذا قوله لجريير بن عبد الله البجلي : { يا جريير إذا قلت فأوجز وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف }¹.

وقد كان الرسول الكريم يصف الكلام الموجز بأنّه ذروة سنام البلاغة ، فقد سمع رجلاً يقول لرجل : كفاك الله ما أهمك . فقال : هذه البلاغة . وسمع رجلاً آخر يقول : عصمك الله من المكاره ، فقال : هذه البلاغة . وقوله صلى الله عليه وسلم : أوتيت جوامع الكلم² . جوامع الكلم إذن هي التعبير النبوي عمّا نسّميه بلاغياً "الإيجاز" . وقد تكلم رجل عند النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : { كم دون لسانك من حجاب } فقال شفّائي وأسّاني . فقال له : { إن الله يكره الإنبعاق في الكلام ، فنضّر الله وجهه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته }³.

يُظهر هذا الحوار بوضوح إغاض الرسول الكريم للثرثرة والتشدّق في الكلام فضلاً عن التّعرّ فيه ، فالزيادة في الكلام من غير ما فائدة تُدّ إخلالاً بمستوى الرسالة الكلامية ، سواء من ناحية الشكل أو المضمون .

وهذا كان أمراً سليقياً في النبي ﷺ و في الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً . كما ورد في قوله ﷺ : { نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء } ، أي قلّة في الكلام من " بكأت النّاقة والشّاة " إذا قلّ لبنها¹.

1- سعد ناصر الدين ، الإيجاز في البلاغة العربية ، المنتدى العربي الموحد www.alnadwah.com

2- أبو الهلال العسكري: الصناعتين ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1981 ، ص 193 .

3- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ص 241 .

1- ينظر : سعد ناصر الدين ، الإيجاز في البلاغة العربية ، المنتدى العربي الموحد www.alnadwah.com

فكلام الرسول ﷺ كما وصفه الجاحظ إذن هو " الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثُر عدد معانيه وجَل عن الصنعة ورثه عن التكلف " ¹ وهو كما وصفه الجاحظ أيضا في موضع آخر من "البيان والتبيين" قائلا : { لم يسمع الناس بكلام قطّ أتمّ نفعاً ولا أقصد لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ } ²

ومن الصّعب أن نجد كلاما بشرياً يجمع بين تمام الفائدة والاقتصاد اللغوي وسلامة التّسيج الإيقاعي – بعيدا عن المعنى العرضي للكلمة – ووضعها الموضع الذي يجمع فيه بين السّلامة والسّلاسة ، إضافة إلى البعد التّام عن الغموض في غير كلامه ﷺ . فمن تأملنا لأحاديثه ﷺ يتبيّن كيف كانت دقّة أسلوبه في التّعبير ، وكيف يبدو الإيحاء الشّدديد .³

بالمعاني وإثارتها واختيار الألفاظ بدقّة بعيداً عن التّكلف والرّخرفة ، مع احتوائها على قيم الجمال الفنّي وروعة التّصوير ، ممّا يجعلها تحتلّ قمّة في عالم البيان .

وقد عُرف الإيجاز عند الرسول الكريم ﷺ باسم " جوامع الكلم " وهي " هذا النوع من الإيجاز الذي يُكتفى فيه بألفاظ قليلة لكن سليمة من كل حذف ، لبلوغ أشمل المعاني وأبعدها تصوّراً في الخواطر والأذهان ، بحيث لا يبقى لأحد بعد إطلاقها الأمل في إحراز أقلّ منها لفظاً ولا أكثر منها معنى ، فهي حقائق عليا في شكلها ومضمونها " ¹ . وجوامع الكلم ليست خصيصة بشرية تجسّدت في شخص النّبي ﷺ ، وإثما هي استلهاهم لمضمون القرآن الكريم وتمثّل لمعانيه .

1- الجاحظ : البيان و التبيين ، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون ، ج 2 (1418 هـ – 1998 م) ، ص 12 .

2- نفس المصدر ، ص 18 .

3- ينظر : المصدر السابق .

1- محمد الصغير بناني : النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ ، من خلال " البيان و التبيين " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ، ص 433 / 267

ويُروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله : " عجبْتُ لمن لا جَنَ
النَّاس كيف لا يعرف جوامع الكلم ؟ " معناه : كيف لا يقتصر على الإيجاز ويترك
الفضول من الكلام ، وهو من قول النبي ﷺ " أوتيت جوامع الكلم " يعني القرآن
وما جمع الله عزَّ وجلَّ بلطفه من المعاني الجمَّة والألفاظ القليلة .¹

" ومن خصائص جوامع الكلم الاستغناء عن كل شيء : استغناء ألفاظها عن
السِّياق واستغناءها عن الخطب الطويلة ، واستغناء المتكلم فيها عن المخاطب .
فسفيان بيِّن عيَّة المحدث الذي ورث شيئاً من هذا الإيجاز ، لمَّا سأله عن قول
طاوس في ذكاة الجراد ، قال ابنه عنه : ذكاته صيده " .²

* * *

¹ - ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، ج 2 ، ص 355 .

² - محمد الصغير بناني : النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، ص 268 .

المطلب الثاني : مواضع الإيجاز في الحديث النبوي الشريف .

توطئة

تقع البلاغة النبوية في أعلى طبقات البلاغة الإنسانية ، وهي تقع بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء ، فكلامه ﷺ يتميز بحسن الإفهام ، وبخلوه من الكلفة والغموض والصنعة ، وأيضا خلوه من الحشو والتكرار والزيادة ، مع اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار .¹

وكلام النبي المحفوظ بين أيدينا إمّا معاهدات ورسائل كتبت في حينها ، وإمّا خطب وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها وروعت الدقة في المضاهاة بين رواياتها جهد المستطاع .

والإبلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام جميعاً ، حتى ما جرى منه مجرى القصص أو مجرى الأوامر إلى المرؤوسين أو مجرى الدعاء الذي يُقته المسلم ليدر الله على مثاله .² وهكذا يبدو جلياً مواضع الإيجاز في النقاط التالية :

أ- توجيه الأمراء والولاة :

فانظر إلى أسلوبه في توجيه الأمراء والولاة كما جاء مختار مسلم حيث قال " كان رسول الله إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً تم قال : أغزو باسم الله في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا . وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأبیتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم . ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين . وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك ما للمهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم .

¹ - عباس محمود العقاد - عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ص 14 .

² - الميداني ، روائع من أقوال الرسول ﷺ - دار القلم - دمشق - 1995 - ص 67 .

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه . ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله .

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فأنت لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا ، وكان هذا أسلوبه ﷺ في تعليم الولاة بالأوامر والوصايا .¹

ب- المعاهدات والمواثيق :

أما أسلوبه في المعاهدات والمواثيق فهذا طرف مما جاء في كتابه عليه السلام بين المهاجرين والأنصار واليهود :

" المهاجرين من قريش على ربتهم يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيتهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عوف على ربتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو الحارث على ربتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين

و بنو جشم على ربتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، و كل طائفة تفي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين " .²

¹ - الميداني- روائع من أقوال الرسول ﷺ ، دار القلم ، دمشق ، ص 68 .

² - المصدر نفسه ، ص 70 .

ج- سجع كحلية الذهب :

وكان عليه السلام يكره " سجع الكهان " الذين يخدعون به السامع ليوهموه أنه يستمع إلى طلاسم السحرة والشياطين ولكنه لم يكن يأبى السجع بته ولا يخلو كلامه من سجع يأتي على السجعية ، ويغلب أن يكون ذلك فيما يرتل علانية كالأذان وما هو في حكمه ، أو فيها يحفظ من الوصايا الجامعة كقوله : " ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله ؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ، قضاء الله حق ، وشرط الله أوثق ، وإثما الولاء لمن أعتق " أو قوله : " إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ، ومنعًا وهات ، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال " ¹.

و مذهبـه في هذه الحلية اللطيفة مذهبه في كل حلية تليق بالرجل ، فحولة في القول وفحولة في الزينة ، فسجعه عليه السلام كحلية الذهب التي يليق بالرجل أن يتحلّى بها ، ولا مزيد .

كتب إليه أبو سفيان يقول في آخره :

«..... نريد منك نصف نخل المدينة ، فإن أجبتنا إلى ذلك وإلا أبشر بخراب الديار وقلع الآثار .

تجاوبت القبائل من نزار لنصر اللات في البيت الحرام

وأقبلت الضراغم من قریش على خيل مسومة ضرام

فأجابـه بكتاب جاء فيه : " وصل كتاب أهل الشرك والتفاح والكفر والشقاق وفهمت مقالـتكم . فو الله مالكم عندي جواب إلا أطراف الرّماح وأشفار الصفاح

¹ - المصدر السابق : ص 72 .

فارجعوا ويلكم عن عبادة الأصنام ، وابشروا بضرب الحسام ، وبفلق الهام
وخراب الديار وقلع الآثار " 1 .

فهذا السّجع في هذا المقام أصلح لخطاب الجاهلين ، لأنّهم يعرفون منه معنى
التوثيق والتمكين كما يعرفون منه معنى المناجزة والتخويف ومن هنا أقرّ النبي
نص الحلف الذي كان بين جدّه وخزاعة على ما كان به من سجع وتفخيم
يجعلونهط موثقاً تعقد به الموثيق وتؤكّد به الحرمات . وهذا نصّه : « باسمك
اللّهم . هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة ، حلفاً جامعاً غير مفرّق : الأشياخ
على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشّاهد على الغائب .

قد تعاهدوا وتعاهدوا أوكدّ عهد ، وأوثق عقد ، لا ينقض ولا ينكت ما أشرقت
شمس على ثبير ، وحنّ بفلاة بعير ، وما أقام الأخشبان واعتمر بمكة إنسان .
حلف أبد طول أمد يؤيّد الشمس شدّا ، وظلام اللّيل مداً وإنّ عبد المطلب وولده
ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون . على عبد المطلب
النّصرة لهم بمن تابعه على كل طالب ، وعلى خزاعة النّصرة لعبد المطلب وولده
ومن معه على جميع العرب في شرق أو غرب . أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله
على ذلك كفيلاً ، وكفى به جميلاً » .

هذه أمثلة السّجع الّذي فاه به الرّسول الكريم أو أقرّه من كلام غيره ، وما
عداه من تجميل الكلام فهو تجميل الإبلاغ الّذي لا كلفة فيه . أمّا رسائله إلى
الملوك والأمراء . ممّن لم يسلم ولم يهتد . فإنما كانت للإبلاغ أوّل الأمر ، ثمّ
يأتي بعدها التّفسير والقّصيل على أسنة المرشدين والموكّلين بالإجابة فيما
يسألونه عنه . فهي كذلك قائمة على كفاية الإبلاغ تلك الكفاية الوسطى التي لا
إفراط فيها ولا تفريط . 2

1- المصدر السابق : ص 72 .

2- نفس المصدر : ص 73 .

المطلب الثالث : أثر شخصية الرسول ﷺ في الحديث الشريف

توطئة :

إنّ البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها ، لم تُصنع وهي من الأحكام كأنّها مصنوعة ، ولم يُتكلّف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة .

ألفاظ النبوة يعمرها قلبٌ متّصلٌ بجلال خالقه ، مُحكمة الفصول كأنّها هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلّم وإنّما هي في سُمومها وإجادتها مظهر من خواطره ﷺ تجيء بالمجاز الغريب فتري من غرابته أنّه مجاز في حقيقة . وهي من البيان في إيجاز تتردّد فيه " عَيْنٌ " البليغ فتعرفه مع إيجاز القرآن فرعين . فمن رآه غير قريب من ذلك الإعجاز فليعلم أنّه لم يلحق به هذه " للعَيْن " .

« لقد نشأ النبي صلّى الله عليه و سلّم و تقلّب في أفصح القبائل و أخلصها منطقيًا و أعذبها بيادًا فكان مولده من بني زهرة و رضاعه في سعد بن بكر ، و منشؤه في قريش »¹. فلم يخرج عن هؤلاء في النشأة و اللغة فاجتمعت له قوة عارضة البادية و جزالتها ، و نصاعة ألفاظ الحاضرة و رونق كلامها ، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي. و صحة النشأة و حرية النزعة و ما إليها مما هو الأصل في هذه العادة . و يجمع الرواة على أنّ بني سعد بن بكر حظوا من بين العرب بالفصاحة و حسن البيان².

و للنشأة اللغوية أكبر الشدّان في اكتساب المنطق و اللّغة للطبيعة و المخالطة و المحاكاة ، ثم ما يكون من سموّ الفطرة و قوتها³.

و هذه الخلال التي أتينا على ذكرها خطوط قصار من مظاهر كماله و عظيم صفاته ، و من يستطع معرفة كنه أعظم بشر في الوجود بلغ أعلى قمة من الكمال استضاء بنور ربه ، حتى صار خلقه القرآن ؟

1- مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص112 ، ينظر ابن هشام ، السيرة ، ص80 و ما بعدها .

2- المصدر نفسه : ينظر، ابن هشام : السيرة ، ص82 .

3- المصدر نفسه : تاريخ آداب العرب ، ج2 ، ط1 ، ص (226،227) .

1) أسلوب عصري :

ولمن شاء أن يحسب أسلوب النبي - كتابة وخطابا - أسلوبًا عصريًا يقتدى به المعاصرون في زماننا هذا وفي كل زمان ، لأنّ الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة هو أسلوب عصري في جميع العصور ، ويخطئ من يحسب الوصل بين الجمل شرطًا للكلام العربي القديم والفصل بينهما علامة من علامات الأساليب المبتدعة في الزمن الأخير ، ومثال ذلك الحديث الذي نقلناه لفظًا حيث يقول عليه السلام : " ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله ؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان من مئة شرط : قضاء الله حقّ ، وشرط الله أوثق ، وإثما الولاء لمن أعتق " .

هذا الحديث رضي البلاغة العربية في وصله وفصله ، و رضي الأسلوب العصري في إشارات ترقيمه ، وآية على خطأ الذين يفرّقون بين شروط البلاغة العربية ذلك لنحو من التّريق¹ .

2) رأى النبي في الشعر :

هناك تعقيبات معدودة عن رأى النبي في الشعر والشّعراء لا تدخل في النقد الفنيّ وتدخل في كلام الأنبياء الذين يقيسون الكلام بقياس الخير والصلاح والمطابقة لشعائر الدين وسنن الصّدق والفضيلة ومنها قوله : " أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : " ألا كل شيء ما خلا الله باطل " . وقوله عن امرئ القيس إنّه صاحب لواء الشعراء إلى النّار ، وأنه ﷺ كان يتمثل بشطرات من أبيات يبدّل وزنها كلّما أمكن تبديله مع بقاء المعنى المقصود ، فكان يقول مثلا : ويأتيك بالأخبار من لم تزود لأنّها لا تقبل التّبديل مع بقاء المعنى .

¹ - عبد الرحمن حبنكة الميداني : روائع من أقوال الرسول ﷺ - دار القلم - دمشق ، ص 74 .

ولكته إذا نطق يقول سحيم عبد بني الحساس : " كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً " قدّم كلمة الإسلام فقال : " كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً " لينفى ما استطاع لشاعر ينظّم القصيد وأنّ سور القرآن قصائد مرتلات كما زعم المشركون .

وقد استحسّن ما قيل من الشّعـر في التّضح عن الإسلام والذود عنه وعن آله و عن آله فكانت آراؤه هذه وشبهاتها آراء الأنبياء فيما يحمّدون من كلام ، لأنّهم قد بعثوا لتعليم النّاس دروس الخير والصّلاح ، ولم يبعثوا ليلقّئوهم دروسهم في قواعد النّقد والإنشاء .¹

(3) جوامع الكلم :

أنّ الإبلاغ أقوى الإبلاغ في كلام النّبي هو اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار ، بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات وقد يبسطها الشّارحون في مجلّدات .

ومن أمثلة ذلك علم السلوك في الدّنيا والدّين ، وقد جمعه كلّ في أقلّ من سطرين قصيرين من قوله : « أحرث لديّك كأنّك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً » .

ومن أمثلة علم السّياسة الدّي اجتماع كلّ في قوله : " كَمَا تَكُونُوا يُؤَلَّ عَلَيْكُمْ " فأيّ قاعدة من القواعد الأصليّة في سياسة الأمم لا تنطوي بين هذه الكلمات ؟

ومن أمثلة العلم بالتّبعات قوله عليه السّلام : " أشدّ النّاس بلاء الأنبياء ثم الصّالحون ثم الأمثل فالأمثل « .

¹ - المصدر السابق : ص 75 .

فالمزايا الإنسانية واجبات وأعباء وليست بالمتع والأزياء ، وعلم الإنسان بالخير والشر يفرض عليه الفرائض التي يبتلى بها ، ولا يهتته بالراحة التي يصبر إليها وهو محسوب عليه وكذلك ذكاؤه محسوب عليه . كان محمد صلى الله عليه وسلم فصيح اللّغة، فصيح اللسان ، فصيح الأداء .

وكان بليغًا مبلغًا على أساس ما تكون بلاغة الكرامة و الكفاية ، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين ، بل قدوة المرسلين ¹ .

ومن جوامع كالم ﷺ : " كفى بالسلامة داءً . ومعناه القريب أنّ الرجل إذ طالته به الحياة وامتدّ به العمر ، كان طول حياته سببا في كبره وضعف صحته وعجزه عن القيام بأموره ، ولقد يمتدّ به ذلك حتّى يصير عاجزًا عن القيام والقعود وتناول الطّعام والشراب والاستمتاع بما يقع تحت بصره من دواعي السّرور والفرح وجميع ملذّات الحياة ومتعتها .

أفليس هذا داء لا دواء له إلاّ أن يستريح الجسم الفاني من متاعب الحياة ويذهب إلى ربّه ؟²

وهو الحديث الذي يذكّرنا بالحديث الشّهير : " كفى بالموت واعظًا ، والصّيغتان تحيلان إلى الاستفهام الاستنكاري ، إذ نستطيع أن نقول : أولا يكفي أن تكون السلامة داءً ؟ كما نقول أيضا : أولا يكفي أن يكون الموت واعظًا . والحديث الثاني يحيل أيضا إلى الحقيقة الصّارمة في تقريرها والتي تقول : من لم يعظه الموت فلا واعظ له .

وفي قوله ﷺ : { لا يدخل الجنّة من لا يأمن جاره بوائقه } تمّ الجمع بين الإيجاز والفصاحة ، فالهدف من الحديث النّهي عن إيذاء الجار .

لكنه ﷺ أثر تلك الصّورة وعدل عن سواها لعدّة دلالات تستفاد من "يَأْمَن" و"بَوَائِق" ، فكلّمة "يَأْمَن" تحمل معان لا تحتملها كلّمة "يؤذي" وهي تحمل المعنى المعجمي المضادّ لكلّمة الخوف ، وفيها بيان لطبيعة العلاقة بين الجار وجاره ، وتشمل كل ما يؤدّي إلى الاستقرار والطمأنينة .

1 - المصدر السابق : ص 76 .

2 - ينظر : محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد ، دار الجيل ، ط 1 ، بيروت 1992 ، ص 9 - ص 110 .

وفيهما مبالغة في التّهي عن إيذاء الجار ، فمجرّد شعور الجار بالخوف من جاره قد يكون سبباً في حرمانه من دخول الجنّة . وكلمة " بوائق " تدلّ على بشاعة إيذاء الجار لما فيها من معنى الاغتيال والقتل ، وهذا أنسب في مقام التّحذير .¹

4) دو ذوق سليم :

هذه العاطفة الإنسانية التي رحبت حتى شملت كل ما أحاطت به و أحاط بها لم تكن هي كلّ أداة الصّداقة في تلك النّفس العلوية ، بل كان معها ذوق سليم يضارها رفعةً ونبلاً ويتمثّل فيما يرجع إلى علاقات النّبي ﷺ بالنّاس ، في رعاية شعورهم أنّهم رعاية و أدلّها على الكرم والجود

" كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه ، فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه ، إذا لقيه أحد أصحابه فتناول يده ناوله إيّاها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرّجل هو الذي ينزع يده منه ... "

" وكان ارحم النّاس بالصّبيان والعيال " " وإذا قدّم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته " .

* * *

¹ - سعد ناصر الدين ، الإيجاز في البلاغة العربية ، المنتدى العربي الموحد 13 يونيو 2004، www.alnadwah.com

" وكان أشدّ حياء من العذراء في خدرها وأصبر الناس على أقدار الناس " يحفظ مغيبهم كما يحفظ محضرهم ويقول لصحبه : " من أطلع في كتاب أخيه بغير أمره فكأنما أطلع في النار " .

ومع العاطفة الإنسانية والتوق السليم والأدب الكريم سمت جميل ونظافة بالغة وحرص على أن يراه الناس في أجمل مرآه¹.

5 فصاحته ﷺ :

فلو ذهبنا نستقصي في الكلام عن فصاحته ﷺ لوجدناه كان أفصح العرب ، على أنه لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه ، ولا يبغى إليه وسيلة من وسائل الصنعة ، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده ثم لا يعرف له في ذلك سقط ولا استكراه ، ولا تستزله الفجاءة وما يبدّه من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع ، وعن التّمط الغريب والطريقة المحكمة . وإن كان كلامه صلى الله عليه وسلم لكامًا قال الجاحظ : " هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، وئزّه عن التكلف استعمل المبسوط موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق عن ميراث حكمه ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة ، وشدّ بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبّة عليه وغشاه بالقبول ، وجمع بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام² .

هو مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السّامع إلى معاودته ، لم تسقط كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجّة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب

بل بيدّ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتجّ إلا بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، يستعين بالخلابة . ولا يستعمل المؤاربة ، ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطن ولا يعجل ، ولا يسهب ولا

1- الميداني ، روائع من أقوال الرسول ﷺ ، دار القلم ، دمشق ، ص 79

2- مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 2 ، ط 1 ، 1421 هـ . 2000 م ، ص 224 ، ص 225 .

يحصر ، ثم لم يسمع اللّس بكلام قطّ اعْمَنفَعًا ولا اَصْدَق لَفْظًا ، ولا اَعْدَل وَزَنًا
ولا اَجْمَل مَذْهَبًا ولا اَكْرَم مَطْلَبًا ، ولا اَحْسَن مَوْقِعًا ، ولا اَسْهَل مَخْرَجًا ، ولا
اَفْصَح عَنْ مَعْنَاهُ ، ولا اَبْيَن عَنْ فُحْوَاهُ ، من كَلَامِهِ ﷺ " ¹ .

(6) ملكة البيان عنده ﷺ :

قال تعالى : «أَلرَّحْمٰنُ ۙ ۱ عَٰمَ الْفُرْءَانِ ۙ ۲ خَلَقَ الْاِنْسٰنَ ۙ ۳ عَٰمَهُ الْبَيٰنَ ۙ ۴» .²

إنّ الحيوانات كلّها لا تخرج من أفواهاها إلاّ أصواتًا مبهمّة ، أمّا الإنسان فإنّه
يستطيع أن يخرج هذه الأصوات و زيادة على ذلك فإنّه يستطيع أن يخرج سبعًا
و عشرين حرفًا تتركّب منها مليارات الكلمات في كلّ لغات العالم يتكلّم بها
الإنسان فيسخر و يضحك و يبكي و يفسد و يصلح و يشعر أو ينثر و يبين عن
خلجات خاطر و إشراقة الوجدان ، و قوانين الكون و السّماء و الأرض و يغني
و ينشد. إنّ تميّز الإنسان في ملكة البيان من أبرز خصائصه .³

* * *

¹- المرجع السابق : ص 225 .

²- الرحمن : الآية (1 - 4) .

³- سعيد حوى : الرسول صلى الله عليه و سلم ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط7 ، 2005 - ص 5 .

المبحث الثاني

الإيجاز في الأربعين النووية

المطلب الأول : التعريف بالأربعين النووية (المؤلف و المؤلف) .

توطئة :

إنّ للكتب حظوظاً كما أنّ للناس حظوظاً ، فبعض الناس لا يعرفه إلا أهل بيته أو أهل قريته ، أو أهل مدينته ، وبعض آخر يذيع صيته ، ويطير اسمه ، وينتشر في الخافقين ذكره .

كذلك الكتب فبعضها لا تجاوز بيت مؤلفها ، أو قريته أو مدينته ، وعضّ مرّ أياً ما أو شهوراً أو سنين معدودة ، وبعض آخر تُشرّق وتُغرب وتُسهل وتُجد وتصارع الزمن ، وعضّ مرّ مئات السنين .

وهذا الكتاب المسمّى بالأربعين حديثاً للإمام الزاهد القدوة يحيى بن شرف النووي من تلك الكتب التي انتشرت في الشرق والغرب ، وقطعت مئات السنين واستنهضت هم العلماء فاعتنوا بها واحتفلوا ، فكتبوا عليها الشروح المتنوعة في مصادرها ومواردها لتنوّع مشارب مؤلفيها وعائدهم وقد تلقت الأمة هذه الأربعين بالقبول ، وطبقت شهرتها الآفاق ، واشتهر بها الإمام النووي فلا تكاد تعرف إلا ب{الأربعين النووية} .

ويعيدُ بعض العلماء هذا القبول لهذا الكتاب القيم وغيره من كتب المؤلف إلى خلوص نيّته ، وصفاء طويّته ، وحسن قصده ، يقول ابن رجب الحنبلي (ت 795 هـ) .

" واشتهرت هذه الأربعون التي جمعها - أي النووي - وكثّر حفظها ، ونفع الله بها ببركة نيّة جامعها ، وحسن قصده - رحمه الله تعالى - .

وقال الشّيخ ابن عثيمين (ت 1420 هـ) - رحمه الله تعالى - في مقدمة شرحه على الأربعين النووية : (والظاهر - والله اعلم - أنّ النووي من أخلص الناس)¹ .

¹ - أبي معاذ ظافر بن حسن آل جبعان ، علم الأربعينيات و الأربعين النووية ، ص22 hasen@gawab.com dhafer .

في التّأليف ، لأنّ تأليفه انتشرت في العالم الإسلامي ، فلا تكاد تجد مسجداً¹ .
إلاّ ويقرأ فيه كتاب (رياض الصالحين) ، وكتبه مشهورة مبنوثة في العالم ممّا
يدلّ على صحّة نيّته ، فإنّ قبول النّاس للمؤلّقات من الأدلّة على إخلاص النيّة .
ولله در القائل حيث قال :

لقيت خيراً يا نوى	ووقيت من ألم النوى
فلقد تشابك علم	لله أخلص ما نوى
وعلا علاه وفضله	فضل الحبوب على النوى ²

أ- التعريف بالمؤلّف :

1. اسمها : اشتهرت هذه الأربعين بالتّووية نسبة لموطن جامعها
(رحمه الله تعالى) وأمّا هو فقد سمّاها (الأربعين في مباني الإسلام
وقواعد الأحكام) وللقائل أن يقول : لماذا اشتهرت بالأربعين مع أن عدتها
اثنان وأربعون حديثاً ؟ فالجواب : قال المر ابغي في (حاشيته على الفتح
المبين بشرح الأربعين) ما نصّه (قوله فإنّ الأربعين : " هو من باب
تسميه الكلّ باسم الجزء ، فلا يقال قد اشتمل على اثنين وأربعين حديثاً
وإنّ السابع والعشرين منها مشتمل على حديثين لاشتمالها على معنى
واحد وإنّ المراد الكتاب المسمّى بالأربعين فتكون الأربعين علماً على
المتن كلّه فيشمله جميع ما ذكر والخطبة وما بعدها من سبب التّأليف فإنّه
لاشكّ من مسمّى الكتاب وإن لم يكن من الأحاديث المعدودة ، ولا ينافي
هذا الثاني المراد منه)³ .

2. نسبتها إليه : أشار إليها - رحمة الله في شرحه على
صحيح الإمام مسلم بن الحجاج حيث قال - في شرحه لحديث أبي هريرة
رضي

1 - المصدر السابق: ص22 .
2 - نفس المصدر - ص23 .
3 - نفس المصدر - ص23 .

الله عنه مرفوعاً : " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا " (هذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام وقد جمعت منها أربعين حديثاً في جزء ")¹ .

وقد عزاها إليه تلميذه ابن العطار (ت:819 هـ) حيث قال : (صنف - رحمه الله - كتباً في الحديث والفقہ عمّ النفع بها ، وانتشر في أقطار الأرض ذكرها منه : كتاب الأربعين) .

3- **سبب تأليفها** : أفصح المؤلف - رحمه الله تعالى - عن ذلك فقال : (وقد صنف العلماء - رضي الله عنهم - في هذا الباب ما لا يحصى من المصنّفات ، فأول من علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك ، ثم محمّد بن أسلم الطوسي - إلى أن قال - وقد استخرت الله تعالى جمع أربعين حديثاً اقتداءً بهؤلاء ، أهمّ من ذلك كلّه ، وهي أربعون مشتملة على جميع ذلك)² .

4- **أصل هذه الأربعين** :

إن الفقيه الزاهد القدوة الإمام النووي - رحمه الله تعالى - أخذ الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح ، و زاد عليها تمام اثنين و أربعين حديثاً ، و سمى كتابه ب (الأربعين) ، و اشتهرت هذه الأربعون التي جمعها ، و كثر حفظها و نفع الله بها ببركة نية جامعها .

فأصل هذه الأحاديث في اختيارها على أنها جوامع كلم تدور عليها أمور الدين ، فمنها ما يتصل بالإخلاص و منها ما هو في بيان الإسلام و أركانه ، و الإيمان و أركانه ، و منها ما هو في بيان الآداب العامة ، و منها ما هو في بيان بعض صفات الله عز و جل .

فهذه الأربعون حديثاً ، و ما يزيد عليها أيضاً ، فيها علم الدين كله ، فما من مسألة من مسائل الدين إلا و هي موجودة في هذه الأحاديث من العقيدة ، أو من الفقه ، و هذا تبين لمن طالع " الشرح العجيب " شرح ابن رجب - رحمه الله تعالى - على الأربعين النووية ، و على الأحاديث التي زادها ثم شرحها ، و بهذا يتبين أصل هذه الأربعين ، و الله - تعالى - أعلم³ .

¹- المصدر السابق : ص 24

²- نفس المصدر : ص 27 .

³- أبي معاذ ظافر بن حسن آل جبعان ، علم الأربعينات و الأربعين النووية ، dhafer hasan@gawab.com

ب- التعريف بالمؤلف الإمام الفقيه (يحيى بن شرف)

1 نسبه ونسبته :

هو الإمام العلامة محي الدين أبو زكريا يحيى بن الشيخ الزاهد الورع أبي يحيى شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الحزامي النوي . أمّا نسبة " الحزامي " فهي إلى جدّه المذكور " حزام " وذكر بعض أجداد الشيخ كانوا يزعمون أنّها نسبة إلى الصحابي الجليل حزام أبي الحكيم رضي الله عنه ، وهذا غلط كما بيّنه ابن البيطار في ترجمة الإمام النوي¹ .

2 مولده ونشأته :

ولد الإمام النوي في المحرم ، سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، بنوى وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها . ذكر أبوه أنّ الشيخ كان نائماً إلى جانبه ، وقد بلغ من العمر سبع سنين ، ليلة السّابع والعشرين من رمضان ، قال : فانتبه نحو نصف الليل ، وأيقظني وقال : يا أبتِ لِمَا هذا الضّوء الذي ملأ الدّار؟! واستيقظ أهله جميعاً ، فلم نر كئلاً شيئاً ، قال والده : فعرفت أنّها ليلة القدر . وذكر الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي : أنّه رأى الشيخ محي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى ، والصّبيان يُكرهوه على اللّعب معهم ، وهو يهرب منهم ويبيكي ، لإكراههم ، ويقرأ القرآن في تلك الحال ، فوقع في قلبي محبّته وجعله أبوه في دكّان ، فجعل لا يشتغل بالبيع والشّراء عن القرآن ، قال : فأتيت الذي يُقرئه القرآن ، فأوصيته به ، وقلت له : هذا الصّبيّ يرجي أن يكون أعلم أهل زمانه، وأزهدهم ، وينتفع النّاس به فقال لي : أمّنجم أنت ؟ قلت : لا ، وإنّما أنطقني الله بذلك ، فذكر ذلك لوالده ، فحرص عليه ، إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام² .

¹ - جمع وإعداد ظافر بن حسن آل جبعان - ترجمة الإمام النوي - النشرة الأولى - س 1468 - ص 07 .

² - المصدر السابق : ص 08 .

3- جَدُّهُ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ :

و حين استقر النووي في المدرسة الرواحية ، و اطمأنت نفسه في مسجده ، أقبل على طلب العلم بكل ما يعتلج بقلبه و عقله من شَعَفٍ و جد و استعداد ، و من فهم للعلم لا يسده شبع ، و قال عن نفسه رضي الله عنه : و بقيت سنين لم أضع جنبي على الأرض .

و حكى عنه البدر بن جماعة : أنه سأله عن نومه ، فقال : إذا غلبني النوم ، استندت إلى الكتب لحظة ، و أنتبه .

و ذكر القطب اليوناني : أنه كان لا يضيع له وقت في ليل و لا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم ، حتى إنه في ذهابه في الطريق و إيابه يشتغل في تكرار محفوظة ، أو مطالعة ، و بقي على هذا الوجه ست سنين .

و يقول الذهبي : و ضرب به المثل في إكبابه على طلب العلم ليلا و نهارا و هجره النوم إلا عن غلبة ، و ضبط أوقاته بلزوم الدرس ، أو الكتابة ، أو المطالعة أو التردد على الشيوخ .

هذا و قد أثمر الإمام النووي في العلم من السنة الأولى ، فقد حفظ " التنبيه " لأبي إسحاق الشيرازي في نحو أربعة أشهر و نصف ، ثم حفظ ربع العبادات من "المهذب" في باقي السنة . و عرض حفظه لكتاب "التنبيه" على ابن رزين في سنة خمسين و ستمائة .

ثم إنه كان – أول طلبه أيضا- يقرأ كل يوم اثني عشرة درسا على المشايخ شرحا و تصحيحا .

درسين في "الوسيط" ، و ثالثا في "المهذب" ، و درسا في "الجمع بين الصحيحين" ، و خامسا في "صحيح مسلم" ، و درسا في اللغة ، و درسا في التصريف ، و درسا في أصول الفقه ، تارة في "اللمع" لأبي إسحاق ، و تارة في "المنتخب" للفخر الرازي ، و درسا في أسماء الرجال ، و درسا في أصول الدين و هو التوحيد¹ .

1- عبد الغني دقر : الإمام النووي ، دار القلم ، دمشق ، ط4 ، 1994 م .
2- علاء الدين بن عطار : تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين ، ط1، دار الأثرية، عمان، الأردن ، 2007 .

4- شيوخه و تلاميذه : سَمِعَ من الكثير من المشايخ والعلماء منهم :

محمد بن أحمد المقدسي ، وهو أجلّ شيوخه ، وسمع من إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر وأحمد بن عبد الدائم بن نعمة ، وخالد النابلسي ، وعبد العزيز الحموي الأنصاري و ، وعبد الكريم بن عبد الصمد الخزرجي ، وعبد الرحمان بن يحي الأنباري وعبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي ، شمس الدين خطيب ، يحي بن أبي منصور الحراني ابن الصيرفي ، جمال الدين أبو زكري يحي بن رافع الحراني ، شمس الدين أبو الفرج بن قدامة المقدسي وغيرهم¹.

كما نضيف بعضاً من شيوخه و تلاميذه رحمهم الله فيما يلي :

شيوخه :

* **في الفقه** : تاج الدين الفزاري المعروف بالفركاح الكمال إسحاق المغربي أبو الفضائل سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الأربلي ثم الحلبي ثم الدمشقي .

* **في الحديث** : إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي ثم المصري ثم الدمشقي . أبو إسحاق إبراهيم بن أبي حفص عمر بن مضر الواسطي . زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعد . عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري

* **في علم الأصول** : القاضي أبو الفتح عمر بن بندار بن علي بن محمد التفليسي الشافعي².

* **في النحو و اللغة** : أحمد بن سالم المصري النحوي جمال الدين أبو عبد الله الطائي الأندلسي³.

1 - المصدر السابق : ص 08 .

2- المصدر السابق : الإمام النووي .

2- المصدر السابق : تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين ، ص52-57 .

3- نفس المصدر : ص(52-57).

تلاميذه :

- * علاء الدين بن العطار * شمس الدين بن الخطيب
- * شمس الدين بن جعوان * شمس الدين بن القماح
- * الحافظ جمال الدين المزي * قاض القضاة بدر الدين بن جماعة
- * رشيد الدين الحنفي * ابو العباس أحمد بن فرح الإشبيلي¹

5- مؤلفاته :

لا يخفى على ذي بصيرة أنّ الله - تبارك وتعالى - نفع الأمة بتصانيفه و انتشرت في الأقطار، و جلبت إلى الأمصار ، فقد أُلّف في علوم شتى ، وانتفع الناس بها في سائر البلاد الإسلامية وأكبوا على تحصيل تواليه ، حتى من كان له مبعوضاً في حال حياته كان مجتهداً في تحصيلها والانتفاع بها بعد مماته ومن مؤلفاته مايلي :

- ❖ شرح مسلم (بالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج).
- ❖ الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمة .
- ❖ رياض الصالحين من حديث سيّد المرسلين وهو من أشهر كتبه على الإطلاق الأذكار من كلام سيّد الأبرار.
- ❖ الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام وهو معروف بالأربعين النووية .²
- ❖ المنهاج أكثر كتب النووي تداولاً فرغ من تأليفه (669 هـ) .
- ❖ روضة الطالبين من الكتب الكبيرة المعتمدة في المذهب الشافعي(669 هـ)
- ❖ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار فرغ من تأليف الأذكار(667 هـ) .
- ❖ التحرير في ألفاظ التنبيه ألفاظ لغوية و مصطلحات فقهية .
- ❖ العمدة في صحيح التنبيه ملاحظات رآها في التنبيه .³

¹- المصدر السابق : ص 15 ، برنامج المكتبة الشاملة ، www.shamela.ws

¹- المصدر السابق : الإمام النووي ، ص 197-209.

²- نفس المصدر : ص 11 ، برنامج المكتبة الشاملة .

³- نفس المصدر : الإمام النووي .

المطلب الثاني : الإيجاز في الأربعين النووية :

التعليل	نوع الإيجاز	الحديث الشريف
لأنّ ألفاظه ، أقل من معانيه والتمثلة في أركان هذا الدين والتي تقوم عليه ومن هذه الأركان من يخرج من الملة كالشهادتين وترك الصلاة ومنها ما لا يخرج عن الملة كالصيام .	إيجاز بالقصر	1- عن أبي عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، قال رسول "ص" {بُنِي الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصوم رمضان } رواه البخاري ومسلم . ¹
رد: أي مردود، وهو من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول والمعنى: فهو باطل غير معتد به أي رد كل عمل مخالف للشرع ولو كان قصد صاحبه حسناً.	إيجاز بالقصر	2- عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة (رضي الله عنها) قالت قال رسول الله (ص){ مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ } ² .
- لأنّ لفظة النصيحة تَمَّت الكثير من المعاني ومنها عدم الصّرف عن عبادة الله والتصديق بالرسالة النبوية فهذه اللفظة دلّت على جميع أنواع النصيحة لله ورسوله للمسلمين وعامتهم - حذف الاختزال في قوله لله ولرسوله شبه جملة في محل رفع خبر المبتدأ محذوف تقدير النصيحة لله ورسوله .	إيجاز بالقصر (الدين النصيحة) - إيجاز بالحذف في أقسام النصيحة .	3- عن أبي رقية تميم بن أوس الداري (رضي الله عنه : أن الرسول الله "ص" قال : { الدِّينُ النصيحة قلنا لمن ؟ قال : { لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم } رواه مسلم ³

¹ - يحي بن شرف النووي - شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ، دار الفتح ، دمشق (1404 هـ - 1984 م) ، 1 ، ط 4 ، ص 6.

² - نفس المصدر : ص 8

³ - نفس المصدر : ص 8 .

<p>حيث أنّ لفظة " استقما " تمّت كلّ أعمال الطاعات على جميع المخالفات .</p>	<p>إيجاز بالقصر</p>	<p>4) عن أبي عمرو، وقيل أبي عمرة – سفيان بن عبد الله الثقي (ض) قال قلت يا رسول الله : قلّ في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك ؟ قال : " قل آمنْتُ بالله ، ثم استقم " رواه مسلم.¹</p>
<p>لأنّ ألفاظه مساوية لمعانيه فكلمة الريب هي لمعنى الشك فالكلمة حملت معناه من غير زيادة ولا نقصان ولو غيرنا الكلمة لتغيّر المعنى .</p>	<p>إيجاز التقدير</p>	<p>5) عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله – (ص) وريحانته رضي الله عنهما : قال : حفظت من رسول الله (ص) " { دَع ما يريُّك إلى ما لا يريُّك } رواه الترمذي و النسائي .</p>
<p>لأنّه حذف خبر لا النافية للجنس والتقدير : لا ضرر موجود ولا ضرار موجود.</p>	<p>إيجاز بالحذف</p>	<p>6) عن أبي سعد بن مالك بن سنان الخدري (ض) أنّ رسول الله (ص) قال : { لا ضرر ولا ضرار } .² رواه ابن ماجه و الدار قطني .</p>
<p>هو حذف بالاختزال والتقدير أو أصل الكلام نعم تدخل الجنة والله أعلم.</p>	<p>إيجاز بالحذف</p>	<p>7) عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاريّ (ض) { أنّ رجلاً سأل رسول (ص) فقال : رأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال ، وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة ؟ قال : نعم } .³ رواه مسلم .</p>

¹- صحيح البخاري : أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط1 ، 1422 هـ ، ج9 ، 10 / 1 .

²- بدر الدين العيني : عمدة القارئ ، شرح صحيح البخاري ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، مصر ، دط . دت ، ط1 1392 هـ ، ص 142 / 1

¹- يحيى بن شرف النووي – شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ، دار الفتح ، دمشق ، سنة 1984 ، ط1 ، 4 ، ص 18 .

²- نفس المصدر : ص 39 .

³- نفس المصدر : ص 26 .

<p>حذف الفعل لأنّ التقدير : " لا يكمل إيمان أحدكم و حذف الجار و المجرور فتقدير القول : لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير كما حذف العائد لما الموصولة .</p>	<p>إيجاز بالحذف</p>	<p>8 (حدّثنا مسدد قال حدّثنا يحي عن شعبة عن قتادة عن انس بن مالك(ض) عن النبي (ص) عن حسين المعلم قال حدّثنا قتادة عن أنس عن النبي (ص) : { لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه }¹ رواه البخاري و مسلم .</p>
<p>حصر المبتدأ والتقدير كل {الأعمال بالنية}¹ فهو في أصله حذف بالإفراد والجار والمجرور يتعلق أيضا بالمحذوف قدره بعضهم : أن قبول الأعمال واقع بالنية وفيه المبتدأ وهو قبول - وإقامة المضاف إليه مقامه ثم حذف الخبر وهو واقع و الأحسن تقدير من قدر الأعمال صحيحة أم مجزئة وقيل تقدير الخبر واقع أولى من تقديره بمعتبر لأنهم أبدا لا يضررون إلا ما بدل عليه الظرف واستقر - كما حذف التمييز في قوله : فهجرته إلى الله ورسوله¹ .</p>	<p>إيجاز بالحذف و الحصر</p>	<p>9 (حدّثنا عبد الله بن مسلم قال : أخبرنا مالك عن يحي بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص عن عمر أنّ النبي (ص) قال : { الأعمال بالنية² ولكلّ امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هجر إليه } . رواه البخاري و مسلم .</p>
<p>فقد ورد الحذف في قوله { وبينهما مشبهات } حيث حذف المبتدأ المؤخر و التقدير : بينهما أمور مشبهات ، كما حذف المفعول به في قوله " لا يعلمها " والتقدير لا يعلم حكمها كذلك تم حذف جواب شرط في قوله : " ومن وقع في الشبهات " والتقدير : من وقع في الشبهات وقع في الحرام .</p>	<p>إيجاز بالحذف</p>	<p>10 (حدّثنا أبو نعيم حدّثنا زكرياء عن عامر قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : { الحلال بين والحرام² وبينهما مشبهات {.....</p>

1- صحيح البخاري : أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ط1 ن 1422 هـ ، ج9 ، ص 10/1 .

2- النية لغة : القصد يقال نواك الله بخير ، قصدك به ، المنجد في اللغة و الأعلام ، ص 78 .

3- نفس المصدر : 21 / 1

1- أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ج7 ، طبعة المطبعة الكبرى الميرية ، مصر ، 148/1 .

2- نفس المصدر : 149/1 .

<p>هو إيجاز رائع لما فيه من حذف مستحسن جعل العائد للاسم الموصول غائب عن التركيب¹</p>	<p>إيجاز بالحذف</p>	<p>11) عن أبي مسعود عُقبة بن عمرو الأنصاري البديري (ض) قال : قال رسول الله (ص) : { إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ إِنْ لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ } . رواه البخاري .</p>
<p>لأنّ لفظة لا تغضب جمعت المعاني المستيقظة في لفظة لا تغضب المكررة لأنّ الرسول (ص) أدرك ببصيرته أنّ الغضب مدمر لا يعترف بالقيم ولا يفكر في الغضوب بمبادئها .</p>	<p>إيجاز بالقصر</p>	<p>12) حدّثنا يحيى بن يوسف أخبرنا أبو بكر هو ابن عيَّاش عن أبي حصية عن أبي صالح عن أبي هريرة (ض) أنّ رجلاً قال للبيّ (ص) أوصني قال : { " لا تغضب " فرّد مراراً قال : { " لا تغضب " }² . رواه البخاري .</p>
<p>والتقدير : { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر حقيقة فليقل خيراً أو ليصمت ولا يقل شراً } وقد دلنا على تقدير هذه المحذوفات سياق الحديث للتنبيه على عظمة حفظ اللسان لبلوغ حقيقة الإيمان وكما له ، فقله { ليقل خيراً أو ليصمت ولا يقل شراً } من حذف الإحتباك الذي أكسب هذا التركيب صورة طليقة يقضي لنا بالتعدّد في المعاني والغزارة في القصد .</p>	<p>إيجاز بالحذف</p>	<p>13) حدّثنا قتيبة بن سعد حدّثنا أبو الأحوص عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : { مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ }³ . رواه البخاري و مسلم .</p>

¹ - أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني : نفس المصدر - ج 8 - ص 79 .
² - صحيح البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، محقق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط 1 ، 1422 هـ ، ج 9 ، ص 35 / 8 .
³ - نفس المصدر : 13 / 8 .

خاتمة

خاتمة

لقد تناولنا في هذا البحث الأدب النبوي ، و التأمل فيما احتوت نصوصه من مميزات فنية ، و فيض زاخر بأيات الحسن و الجمال و الإبداع في المعاني التي يتميز بها الحديث النبوي الشريف عن غيره من كلام البشر ، لأنه يحمل في طياته جمالا بلاغيا ، فهو وحي من القرآن الكريم يحوي جميع أنواع البلاغة من إيجاز و بيان و بديع .

و خلاصة ما توصلنا إليه قد حصرناه في جملة من النتائج التالية :

1- ثمة اتفاق و تناسب بين المدلول اللغوي و المدلول الاصطلاحي للفظة الإيجاز و هو التعبير عن المراد بلفظ غير زائد ، مقتصر و بليغ و هو نوعان : الأول : إيجاز القصر و هو الذي تكون فيه العبارات ألفاظها قليلة و معانيه كثيرة .

و الثاني : إيجاز الحذف و هو الإيجاز الذي كون قصر الكلام فيه ، بسبب حذف بعضه ، و اكتفاء بدلالة القراءة على ما حذف .

2- الإيجاز من نوعية الظواهر التي تقوي الإيحاء ، و ذلك بجعل مخيلة الفرد تدخل في مجموعة من المعاني ، كما يجعل الفرد يؤول الكلام إلى التقدير الصحيح هذا إذا وقعت في الحذف .

3- هناك مواضع يكون الحذف فيها واجبا ، و يكون لأغراض نحوية تظهر من خلال الإعراب و هناك من تظهر من خلال السياق .

و من خلال عرضنا لأحاديث النبي صلى الله عليه و سلم في الفصل الثاني توصلنا إلى أنه كان أفصح لفظا و أسهل تركيبا و أعذب تعبيرا ، فكان مادة غزيرة للغة .

و لهذا كانت العرب حريصة على هذا النوع من الأسلوب البلاغي لأنه منبر للفصاحة و البلاغة العربية ، و مزاد اللغة سموا نزول آخر الكتب السماوية على أحد من أبنائها ، و تخير هذه اللغة كلسان ناطق لوحي الله سبحانه و تعالى .

فكانت لها مكانة مرموقة بين أفصح القبائل و لذا قال صلى الله عليه و سلم : (أنا أفصح القبائل بيد أني من قريش ، و نشأت في بني سعد بن بكر)

و في رواية أخرى (أنا أعربكم ، أنا قرشي ، واسترضعت في بني سعد بن بكر) كان تميز ملكة البيان من أبرز خصائصه صلى الله عليه و سلم ، فجاء في محكم تنزيله قوله تعالى: «أَلرَّحْمٰنُ ١ عَلٰمُ الْفُرْعٰنِ ٢ خَلَقَ الْاِنْسٰنَ ٣ عَلٰمَةُ الْبَيٰنِ ٤ » حيث أرسل الله عزّ و جلّ رسوله الكريم بلسان عربيّ مبين ، فكان النبيّ صلوات الله عليه يصوّف اللّغة تصريفا ، و يديرها على أوضاعها و يشقّق منها في أساليبها و مفرداتها . لأنّ القوّة على الوضع و الكفاية في تشقيق اللّغة و تصاريف الكلام لا تكون في أهل الفطرة مزاولة و معاناة و لا بعد نظر فيها و ارتياض لها إنّما هي إلهام بمقدار ، تهییء له الفطرة القويّة .

و لقد لاحظنا كثيرا في بعض أحاديثه بلاغة كبيرة ذات جمال فني و إبداع رائع فاندھشنا و نحن نحاول دراستها و تبیین جماليّتها و بلاغتها .

فالحمد لله أننا تمكنا من خدمة الطلاب في هذه السنّة من خلال باب الإيجاز في الحديث النبويّ الشريف .

و نحن بدورنا ندعو تكثيف البحث في هذا المجال لتوضیح مدى شمولية الأحاديث النبوية من الحكم الشرعي إلى الجمال الأدبي .

و نسأل الله العليّ القدير أن يأجرنا و يأجر كل من سهر معنا على تقديم هذا العرض .

و الحمد لله في الابتداء و الختام و الشكر له على التوفيق و الإتمام .

ملحق الأعلام

ملحق الأعلام

أبي بكر المقدسي : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي المعروف بشمس الدين المقدسي و يقال له البشاري رحالة جغرافي صنف كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ط" ولد سنة (336هـ - 947 م).

أبي اليسر التنوخي : إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاعر بن عبد الله المعرسي الأصل الدمشقي مسند عصره ولد سنة (589هـ) و توفي سنة (672هـ) و دفن بجبل الصالحية بترية والده .

شرف الدين بن محمد الحموي الشافعي : الإمام المعروف بان الرفاء الأوسي الأنصاري ديوانه المطبوع كتاب "نظرة المعشوق إلى وجه المشوق" و منظومة "تذكار الواحد بأخبار الوالد".

تاج الدين الفزاري (الفركاح) : شيخ المذهب مفتي القرى الشافعي الشام لقب بالكرفاح لإعوجاج في رجليه ،كان فقيها أصوليا مفسرا محدثا دينيا كريما ولد بدمشق (660هـ - 690هـ).

أبو الفضائل سلار بن الحسن : المجمع في إمامته ، و تقدمه في علم المذهب على أهل عصره ، مفتي الشام توفي سنة 670 هـ عن بضع و ستين سنة .

إبراهيم بن عيسى المرادي المصري : الإمام الحافظ المتقن المحقق الضابط الزاهد الورع كان بارعا في الحديث توفي بمصر سنة 668 هـ .

أبو إسحاق بن مضر الواسطي : أبي البرهان العدل الصدر السفار و التاجر المعرّزف بن البرهان ولد سنة 593 هـ (ت 664هـ) بثغر الإسكندرية.

أبو البقاء النابلسي : الإمام المحدث الحافظ ولد سنة (585هـ - 663هـ) نشأ بدمشق ودرس فيها ، قرأ عليه الإمام النووي "الكمال في أسماء الرجال توفي بسلخ .

1- شمس الدين السخاوي : المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الاولياء النووي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 2005.

2- عبد الغني دقر : الإمام النووي ، دار القلم ، دمشق ، 1994 م .

أحمد بن قدامة المقدسي :ابن الشيخ أبي عمر كان فقيها عالما زاهدا عنى بالحديث ، و درس و أفتى و أقرأ العلم زمانا طويلا و انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره ، ولد سنة (597هـ - 682هـ)¹.

الكمال إسحاق المغربي :المحدث الكبير في الرواية كان إماما عالما فاضلا مقيما بالرواحية . جعله النووي أول شيوخه فلازمه و أكثر القراءة عليه توفي سنة 650 هـ .

بن رافع الحراني ابن الصيرفي : المعروف بابن الحبيشي ، كان إماما عالما متفنا صاحب عبادة و تهجد و صفات حميدة ، فقيه حنبلي أمام ولد بحران ولد سنة (583هـ-1187م)، و توفي بدمشق سنة (678هـ-1279م) .

ابن الحرستاني أبو الفضائل ابن محمد الخزرجي : هو خطيب الشام و شيخ دار الحديث ولد في سابع رجب سنة 577هـ بدمشق ، قال الذهبي: "و كان من جلة العلماء له سمت و وقار و تواضع ، توفي سنة 662هـ .

عبد الرحمن بن سالم الأنباري : المفتي جمال الدين بن عبد الرحمن الأنباري ثم الدمشقي الحنبلي توفي سنة 661هـ .

عمر بن بندار التفليسي : ولد بتفليس 601هـ كان فاضلا أصوليا مناظرا متبحرا في العلوم، سمع و حدث و درس و أفتى و جالس ابن الصلاح و أفاد منه ، قال ابن العطار "قرأ عليه الإمام النووي المنتخب للرازي ، و قطعة من المستصفي و غير ذلك " ولي نيابة الحكم توفي و دفن بالقرافة الصغرى سنة 672هـ¹.

¹- ابن كثير : البداية و النهاية ، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 1408 هـ -1988 م .
²- مقدمة ابن الصلاح : معرفة أنواع علوم الحديث ، تحقيق ماهر فحل ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2002 .

قائمة المصادر

و

المراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن نافع .

- 1- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده .
- 2- ابن كثير ، البداية و النهاية ، ت عبد المحسن التركي ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 1408هـ - 1988م
- 3- أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 1981 م .
- 4- أبي معاذ ظاهر حسن آل جبعان ، علم الأربعينات و الأربعين النووية
- 5- أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج7 ، طبعة المطبعة الكبرى الميرية ، مصر .
- 6- أحمد فريد ، الإمام النووي ، برنامج المكتبة الشاملة .
- 7- أحمد مختار ، البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6 .
- 8- بدر الدين العيني ، عمدة القارئ ، شرح صحيح البخاري ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، ، دط ، دت ، 1392 هـ .
- 9- الجاحظ ، البيان و التبیین ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط ج ، 1418هـ 1998 م .
- 10- حامد صالح خلف الربيعي ، مقاييس البلاغة ، مركز بحوث اللغة العربية مكة المكرمة ، 1996 .
- 11- سعد ناصر الدين ، الإيجاز في البلاغة العربية ، المنتدى العربي الموحد .
- 12- سعيد حوى : الرسول صلى الله عليه ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط7 ، 2005م .
- 13- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ط2 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1987 .
- 14- شمس الدين السخاوي ، المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2005 .
- 15- ظافر بن حسن آل جبعان ، ترجمة الإمام النووي ، النشرة الأولى ، سنة 1468 .
- 16- عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد صلى الله عليه و سلم ، المكتبة العصرية بيروت .

- 17- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، البلاغة العربية ، ج2 ، دار العلم - دمشق ، الدار الشامية ، بيروت .
- 18- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار القلم ، دمشق ، 1995م .
- 19- عبد العزيز عتيق ، علم المعاني في البلاغة العربية ، دار النهضة ، بيروت لبنان .
- 20- عبد الغني دقر ، الإمام النووي ، دار القلم، دمشق ، 1994 .
- 21- علاء الدين ابن عطار ، تحفة الطالبين في ترجمة محي الدين ، دار الأثرية عمان ،الأردن ، 2007 .
- 22- محمد الصغير بناني ، النظرية اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين .
- 23- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، صحيح البخاري ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط1 ، ج9 ، 1422 هـ .
- 24- محمد بن المهدي الشرازي ، كتاب البلاغة ، دار أهل البيت ، نجف ، دط 1997م .
- 25- محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف ، البلاغة العربية بين التقليد و التجديد ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت ، 1992 .
- 26- مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، ط9 ، ج1 بيروت ، 1393 هـ ، 1973 م .
- 27- مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتب العلمية - بيروت ج2 ، ط1 ، (1421هـ - 2000 م) .
- 28- مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتب العلمية - بيروت ج1 ، ط1 .
- 29- مقدمة ابن الصلاح ، معرفة أنواع علوم الحديث ، ت ماهر فحل ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2002 .
- 30- يحيى بن شرف النووي ، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ، دار الفتح ، دمشق ، م1 ، ط4 ، سنة 1404هـ . 1984م

المعاجم :

- 1 - الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، المكتبة العربية ، مصر ، دط ، دت .
- 2 - ابن منظور ، لسان العرب ، ج7 ، ت: جمال الدين محمد ، دار صادر ، بيروت .

الفهرس

فهرس المحتويات

أ، ب، ج، د	مقدمة
06	تمهيد
	<u>الفصل الأول : الإيجاز و قيمته الجمالية</u>
09	<u>المبحث الأول : ماهية الإيجاز و مكانته في البلاغة العربية</u>
10	<u>المطلب الأول : تعريف الإيجاز لغة و اصطلاحا</u>
10	أ. لغة
12	ب. اصطلاحا
16	<u>المطلب الثاني : أقسام الإيجاز و مكانته في البلاغة العربية</u>
17	القسم الأول : إيجاز القصر
18	أمثلة
20	القسم الثاني : إيجاز الحذف
21	أ. فوائد الحذف
24	ب. شروط الحذف
26	ج. أقسام الحذف
26	1. الاقتطاع
28	2. الاكتفاء
30	3. التضمين
31	4. الاحتباك
32	5. الاختزال
34	أمثلة
35	<u>المبحث الثاني : مواطن الإيجاز و قيمته الجمالية</u>
37	<u>المطلب الأول : مواطن الإيجاز</u>
39	<u>المطلب الثاني : قيمة الإيجاز الجمالية</u>
	<u>الفصل الثاني : الإيجاز في الحديث النبوي الشريف</u>
43	<u>المبحث الأول : الإيجاز في الحديث النبوي الشريف و قيمته</u>
44	<u>المطلب الأول : الإيجاز في الحديث النبوي الشريف و قيمته الفنية</u>
47	<u>المطلب الثاني : مواضع الإيجاز في الحديث النبوي الشريف</u>
47	توطئة

47	أ- توجيه الأمراء
48	ب- المعاهدات و الموائيق
49	ج- سجع كحلية الذهب
51	المطلب الثالث : أثر شخصية الرسول (ص) في الحديث الشريف
51	توطئة
52	1. أسلوب عصري
52	2. رأى النبي (ص) في الشعر
53	3. جوامع الكلم
55	4. دو ذوق سليم
56	5. فصاحته صلى الله عليه و سلم
57	6. ملكة البيان عنده صلى الله عليه و سلم
58	المبحث الثاني : الإيجاز في الأربعين النووية
59	المطلب الأول : التعريف بالأربعين النووية (المؤلف والمؤلف)
59	توطئة
60	أ- التعريف بالمؤلف
60	1. اسمها
60	2. نسبتها إليه
61	3. سبب تأليفها
61	4. أصل هذه الأربعين
62	ب- التعريف بالمؤلف الإمام الفقيه (يحيى بن شرف)
62	1. نسبه و نسبته
62	2. مولده و نشأته
63	3. جدّه في طلب العلم
64	4. شيوخه و تلاميذه
65	5. مؤلفاته
66	6. وفاته
67	المطلب الثاني : الإيجاز في الأربعين النووية
72	خاتمة
76	ملحق الأعلام
79	قائمة المصادر و المراجع
82	فهرس المحتويات

